شعر
أَشْتَى عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ
الشاعرة
افين بوزان
2025

شعر

إِنْثَى عَلَى إِجْنِحَةِ الرِّيحِ

آفين بوزان

٢٠٢٥

"المرأة كالريح، تحمل في جناحيها حكايا الغياب، وتزرع في القلب شعلة الأمل رغم كل العواصف والرياح."

أفين

الإهداء

إلى كل امرأة حملت الريح في قلبها.
إلى كل روح تهيم بين الغياب والحنين.
إلى من توقفت عند حدود الألم، ثم حلّقت بلا خوف.
هذا الديوان لكم...
لأنكن تعرفن كيف يكون الحب حرّاً، وكيف يكون الحلم شجاعة.

المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	١١
١- قارئة الأحزان	١٣
٢- أنثى الريح	١٦
٣- أجنحة الغياب	١٩
٤- تراتيل أنثى في معبد الجرح	٢٤
٥- بين صمت الليل ونبض الروح	٢٦
٦- كتبتك في حروف الروح	٢٩
٧- مسافرون	٣٢
٨- آه يا زمن	٣٥
٩- غريبةٌ أنا	٤٠
١٠- تراتيل العشق في غيابك	٤٧
١١- يا عازفَ روحي	٥٠
١٢- سيمفونية العاشق المنفي	٥٣
١٣- أناديكَ أبعدَ من الغياب	٥٧
١٤- أنا والليل... والكلمات	٦٠
١٥- امرأة تكتب كي لا تُمحى	٦٣
١٦- أيلول	٦٧
١٧- أنفاس الحبر	٧٠
١٨- حين أكتبك ينبت قلبي	٧٣
١٩- طوفان القصيدة	٧٧
٢٠- طوفان القلب	٨٠
٢١- منتصف الموت	٨٤
٢٢- خرائط العشق	٨٩
٢٣- حين يتكلّم الصمت	٩٢
٢٤- على رصيف الانتظار	٩٥
٢٥- عباءة الريح	٩٨
٢٦- وهج الأمل	١٠١
٢٧- قناديل الملح	١٠٤
٢٨- موعد الرحيل	١٠٦
٢٩- تراتيل أنثى على ضفاف الفراق	١١١
٣٠- أنا التي تسكنني الكلمات	١١٨
٣١- كوباني... يا نهرَ دمي ويا وجهَ أغنيتي	١٢٢
٣٢- أنا الفصل الأخير	١٢٥

٣٣- صرخة الوطن ١٢٨
٣٤- أنا والحروف المذبوحة ١٣١
٣٥- على شفير الألم ١٣٣
٣٦- لمن أهدي انتظاري ١٣٥
٣٧- حنين بلا نهاية ١٣٨
٣٨- عاشقة الروح ١٤٢
٣٩- لن نلتقي ١٤٥
٤٠- أيقونة الضوء في البحر ١٤٩

مقدمة

حين نفتح صفحات ديوان "أنثى على أجنحة الريح"، لا نجد مجرد حروف أو كلمات مرصوصة على الورق، بل نجد روحاً تتحدث بلغتها الخاصة، وحلماً يسبح في أفق الغياب والحضور، على شواطئ الألم والحنين، بين أصداء الفقد ونبض الاكتشاف، كأنه نهر يتدفق عبر الزمن، يحمل في تياره عبق الذكريات، وألوان الحنين، وأصداء الصمت العميق الذي يسبق الفجر. هنا، على هذه الصفحات، تحمل الشاعرة أفين بوزان الريح في قلبها، كما تحمل سؤال الوجود في روحها، وإرادة المواجهة مع كل ما هو غامض وعابر في الحياة، وكأنها تتحدث إلينا من داخل عاصفة، تعلمنا كيف يكون الوجع نوراً، وكيف يكون الحلم جناحاً يحلق فوق الخراب، وكيف يمكن للروح أن تطير رغم قيود الواقع.

أفين بوزان، كوبانية الأصل، دمشقية اللغة، عميقة العراقة، تحمل في جيناتها تاريخاً كوردياً ممتداً، وفي لغتها تراثاً متجذراً، وفي روحها هاجس الإنسان الباحث عن الحرية والجمال. هي الشاعرة التي تصنع من الكلمات أجنحة، ومن الأحلام سماءً، ومن الحنين طريقاً يقود القارئ نحو أفق لا يعرف الحدود. في ديوانها هذا، تتلاقى عراقة المكان مع ثراء اللغة، والغربة مع الحنين، ليولد نص ينبض بالحياة، ويعانق الروح، ويهمس للذاكرة بأسرارها العميقة. كل كلمة هنا ليست مجرد حروف، بل نبض قلب يتسلق الريح، وكل حلم جناح يرفعنا نحو فضاءات الحرية المطلقة، حيث يتحرر الشعر والإنسان معاً.

الريح في هذا الديوان ليست مجرد ظاهرة طبيعية، بل رمز للحرية المطلقة، للرحيل الذي لا يعرف رجوعاً، وللقوة الخفية التي تنبت في القلب حين تتشابك الآلام مع الأمل. وكل صفحة هنا كفجر جديد، يحمل رائحة المطر على تراب الغربة، وصدى خطوات امرأة تمشي على خطوط الزمن بخفة الريح وثقل الأحلام، تمشي لتكشف لنا أن الألم جزء من رحلة الوجود، وأن الحنين لغة الروح التي تعرف الطريق إلى السماء.

المرأة في هذا الديوان ليست شخصية عابرة، بل كيان حيّ، يئن مع الريح ويحلّق معها، يختبر حدود الذات والمواجع، ويصرخ بلا صوت في صمت الزمن. إنها الغربة والحنين، القوة والضعف، الحلم والوجع؛ كما لو أن كل كلمة هنا جناح يرفع القارئ فوق العوالم المألوفة، نحو السماء حيث لا قيود، ولا أسوار، ولا حدود للروح التي تريد أن تتحرر. إنها امرأة تتعلم من الريح لغة الصمت، ومن العواصف لغة الصمود، ومن الغياب لغة الاشتياق، لتصنع من كل دمعة شعلة، ومن كل وجع أفقاً واسعاً يتسع لكل الحالمين، ولتجعل من الحنين قوة تولد حياةً جديدة في كل نبضة قلب.

ما يميز هذا الديوان هو القدرة الرائعة على المزج بين الحلم والواقع، بين الغياب والحضور، بين الشجن والتحدي، بطريقة تجعل كل قصيدة تجربة فلسفية، وكل كلمة صورة متحركة، وكل حرف نبضة صافية من قلب الشاعرة تهز وجد القارئ، وتوقظه من سُبات الروتين اليومي. إنها ليست مجرد قصائد، بل رحلة داخلية، رحلة

عبر الزمن، عبر الذكرى، عبر الألم، عبر أصوات الريح وعبق المطر، لتكشف لنا كيف يمكن للحس الإنساني أن يتحول إلى قوة، وكيف يمكن للروح أن تطير مع الريح مهما اشتدت العواصف، وكيف يمكن للألم أن يتحول إلى نور ينير دروب القلب المظلمة، ويزرع في النفوس أجنحة لا ترى إلا بالروح.

في هذا الديوان، نجد التحدي الشعوري والفلسفي يتقاطع مع جمال اللغة، لتتشكل تجربة شعرية كاملة، عميقة، محاكية لروح القارئ، مستحثة لفكره، ومضيئة لجانبه الأكثر هشاشة وقوة. هنا، على أجنحة الريح، تتحرر الكلمة، وتتحرر معها المرأة، وتتحرر معها الأحلام، لتصبح هذه الصفحات شهادة على قدرة الشعر على أن يكون ملاذاً للروح، ونوراً في ظلمات الغربة، ومخيلة ترفعنا فوق الواقع نحو فضاءات اللامحدود. إنها رحلة إلى داخل الذات، إلى قلب الريح، إلى سماء تتسع لكل المشاعر، حيث يختلط الحزن بالفرح، والحنين بالأمل، وتصبح كل لحظة على الورق تجربة عاطفية وفلسفية متكاملة، وكأننا نحلق مع الكلمات في فضاء لا يعرف نهاية.

الجميل في هذا الديوان أن اللغة نفسها تتحول إلى كائن حي، تنبض، وتتنفس، وتهمس للقارئ أسرار الحياة التي لا تُقال، لتجعله يشعر بأن الكلمات ليست مجرد حروف، بل أرواح معلقة في الهواء، وجناح يطير بنا فوق الغربة، والحلم، والصمت. كل قصيدة هنا ليست نصاً يقرأ فقط، بل عالم يسكن، وعاطفة تحسّ، وتجربة تعاش بكل الحواس، رحلة إلى أعماق الذات، حيث تتلاقى الحرية مع الألم، والموت مع البقاء، والغياب مع الحضور، لتكشف عن جمال الإنسان في أسمى صور المقاومة والإبداع.

أيها القارئ، استعد للغوص في عالم أفين بوزان، عالم يتأرجح بين السماء والأرض، بين الحقيقة والخيال، بين الألم والأمل، عالم لا يقرأ فقط، بل يعاش، ويشعر، ويحس بكل جوارحك، عالم تجتمع فيه الغربة والحنين لتصنع من الألم شعلة، ومن الريح جناحاً، ومن الحلم حرية مطلقة، ومن الكلمات حياة تتدفق بلا توقف. في صفحات هذا الديوان، ستكتشف أن الشعر ليس مجرد كلام، بل تجربة روحانية، رحلة إلى الذات والكون معاً، شهادة على قدرة الإنسان على الطيران فوق الألم، وعلى تحويل الحزن إلى أمل، والغياب إلى حضور خالد، وعلى تحويل كل كلمة إلى جسر يربط بين القلب والسماء، بين الصمت والصدى، بين الأحلام والواقع.

هذا الديوان ليس مجرد كتاب، بل هو رحلة مع الريح، رحلة مع النفس، رحلة مع الحياة ذاتها... رحلة تعلمنا أن الحرية ليست فقط في الطيران، بل في أن نحمل الريح في قلوبنا، وأن نعلم كيف نحول كل ألم إلى شعر، وكل فقد إلى أمل، وكل غياب إلى حضور خالد في أرواحنا.

الدكتور عدنان بوزان

قارئة الأحزان

قرأتُ في عينيكَ ألفَ غياب..
وفي الغيابِ شظايا بحرٍ يبتلعني
يسافرُ بي إلى أرخبيلاتٍ لا ترى
ويعيدني عاريةً من زمني
كأنني لم أعشْ يوماً
كأنني خلقتُ لأكونَ مرثيّةً ..
على ورقٍ مبلّلٍ بالدمع.

أنا قارئةُ الأحزان
أفتحُ كتابَ المساءِ ..
على حروفٍ سوداءَ لا تشبه إلا إيّاي
أقلبُ الصفحاتِ كمن يعدُّ جراحَه
كل سطرٍ سكين
وكل كلمةٍ غيمةٌ مشبعةٌ بالملح.

في حضوركَ ..
أكتشفُ أنني مملكةُ أسرار
كل بابٍ في داخلي يؤدي إلى نايٍ مكسر
وكل نافذةٍ تؤدي إلى قمرٍ مقطوعِ الرأس.
أيُّ لغزٍ أنتَ؟
أيُّ ميثولوجيا تتخفى في ابتسامتك؟
كلما اقتربتُ منك انفرط عقدُ المعاني
وسقطتُ مثل وردةٍ في مهبِّ الأسئلة.

وفي غيابكَ ..
أصيرُ أرملةَ الوقت
أُشعلُ الشموعَ لأحلامٍ يتيمة
أغسلُ وجهي بماءِ الليل
وأكتبُ وصيّتي على جدران الغرفة:
"لا تصدّقوا أنني قوية،
فالقوةُ قناعٌ من زجاج،

وكل صمتٍ في داخلي
مجردُ انهيارٍ مؤجَّل."

أنا قارئةُ الأحزان..
أعرفُ أن الكلماتِ تخون
لكنني أُراهنُ على بقاياها
على الرمادِ الذي يخرجُ من فمِ القصيدة
على العصافيرِ التي تهاجرُ من كتفي
ثم تعودُ في موسم المطر.

يا رجلاً يطل عليَّ كغيمةٍ عابرة
هل تعرفُ أنني خبأتُك في جسدِ اللغة؟
أنني صرتُ حروفاً من نارٍ كي أُداري غيابك؟
هل تعرفُ أنني أفتّشُ عنك
في فواصل الكتب..
في زوايا المرايا..
وفي بقايا فناجين القهوة؟

أنا قارئةُ الأحزان..
أقرأُ الغيمَ كأنّه مخطوط قلبك
أُفسّرُ العاصفة كأنها هجرتُك
أترجمُ الدموع إلى لغةٍ لا يفهمها سواك
وأكتبُ على جبين الفجر:
"هنا مرّت امرأة،
تركت ظلّها على العتبات،
واستعارت من الغيابِ جناحين لتطير."

علّمتني الغربةُ أن أكونَ لغزاً
أن أُخبّئ قلبي في جيبِ معطفي
وأن أبتسمَ للرياح كي لا ترى
أنوثتي تذبلُ مثل زهرةِ شتاء.

لكنني أمامك
أنسى الأقنعةَ جميعاً

أعودُ إلى طفولتي الأولى
إلى بكاءِ المرايا
إلى جروحٍ لم تجفّ
وأقول:
خذني حيث تشاء
فأنا لستُ سوى قارئةِ أحزان
تعيشُ لتفكَّ شيفرةَ غيابك
وتسافرُ في عينيك
كمن يسافرُ في نشيدٍ أبديٍّ
لا يعرفُ آخره.

أنثى الريح

أنا أنثى الريح ..
أولدُ كلَّ صباحٍ من صمتِ الغيوم
وأهدي وجهي للشمس كي ترمِّمَ شقوقي
وأتركُ خصائلي نهراً
يهيمُ في أوديةِ الأفق.

أنا ابنةُ السراب ..
أحملُ جرحَ الرملِ في راحتي
وأُخبِّئُ في صوتي ارتعاشةَ نايٍ قديم
كأنني مرآةُ الزمان
تعكسُ ما اندثرَ من الحكايات
وتحفظ في صدرها ما تكسَّرَ من الأناشيد.

كلّما مشيتُ
تطايرَ حولي غبارُ الأسئلة:
من أيِّ فصولٍ جئتِ؟
هل كنتِ ظِلّاً أم ناراً؟
هل كنتِ أنثى من طينٍ
أم قصيدةً هاربةً من دفترِ شاعر؟

أنا أنثى الريح
أدخلُ المدنَ كغريبةٍ
أفتحُ أبوابها بكفٍّ من هواء
وأتركُ على جدرانها أثرَ مرورٍ
لا يرى إلا بالحنين.

في داخلي قمرٌ مكسور
ونجومٌ تتدلّى من جروحٍ لا تشفى
أسمعُ دويَّ الفراغ في صدري
وأُصغي إلى قلبي وهو يتدرّبُ
على النسيانِ عبثاً.

أنا أنثى الريح..
أحملُ أسلافي معي
أُشيِّعُ موتاهم كلَّ ليلةٍ
وأُقيمُ للغائبين قدّاساً من أنين.
لكنني أضحكُ أيضاً
لأن الضحكَ سلاحُ الخائفين
ولأن الدموعَ إذا سالتْ بلا قيدٍ
أغرقتِ الحقول.

يا رجلاً يطلُّ من نافذةِ عزلتي
لا تقتربْ كثيراً
فالريحُ التي في صدري لا تروَّض
والنارُ التي في أنوثتي لا تطفأ.
أنا ابنةُ الحرائق
إذا مسستَ يدي
احترقتَ بأجنحةٍ من شغف.

أنا أنثى الريح ..
أُعانقُ الليلَ كي لا يبرد
وأُداعبُ المطرَ كي ينهمر
وأكتبُ على أوراقِ الشجر:
"هنا مرّت امرأةٌ
تشبهُ أسطورةً لم تكتمل،
وتشبهُ قصيدةً لم تكتب بعد."

في حضوري
ينحني الغيمُ احتراماً
ويصغي البحرُ إلى وقع خطاي
وتنهضُ أشجارُ الطفولة
كي تحرسَ عزلتي.

أما في غيابي
فالعالمُ يعودُ حجراً صامتاً

ويفقدُ الفجرُ موسيقاه
وتبردُ الكواكبُ في فضاءاتٍ بلا أنفاس.

أنا أنثى الريح ..
أُراوغُ الأبد
وأُشاغبُ الأقدار
وأكتبُ بلسانِ النار ما لا يقال.
أنا المرأةُ التي لا تحاصَر
ولا تختصرُ في قصيدة
ولا تنامُ على كتفِ جدار.

خذوا عني ما شئتم من أساطير
قولوا إنني سيدةُ الغياب
أو عرّافةُ الحنين
لكنني أعلمُ أنني لستُ سوى
أنثى الريح..
تتكسَّرُ على شفتيها الأزمنة
وتتوحّدُ في صدرها
كلُّ الجهات.

أجنحة الغياب

أنا التي تعلمت..
أن أسير وحيدة بين الأزقة
أنا التي حملت في صدري مدينة لم تولد بعد
مدينة من ضوء وريح..
من صمت..
ومطر..
مدينة حيث تصحو الذكريات
على صوت الغياب
حيث يكتب ..
على الحيطان أسماء من رحلوا
قبل أن يولدوا ..
وحيث ينام الحنين ..
على وسائد من نار
كأنه نهر يتدفق عبر الزمن..
يحمل في تياره عبق الذكريات
وألوان الحنين
وأصداء الصمت العميق الذي يسبق الفجر.

أنا التي أحببتك ..
كما تحب الريح البحر
كما تحب الأرض المطر
كما تحب الغريبة ضوء فجرها الأول
حبّاً لا يقاس..
لا يوصف ..
لا يحتمل إلا بالجنون
حبّاً يزرع في قلبي أجنحة
ويعلّم روحي الطيران رغم القيود
حبّاً يصرخ في صمت الليل
في الزوايا المظلمة
في كل كلمة تهمس للسماء قبل أن تصل إليّ.

أحببتك في كل غروب..
وفي كل طلوع
أحببتك في صمت المدن..
وفي ضجيجها
في وجع الناس العابرين..
وفي ضحكات الأطفال
في رائحة المطر على تراب الغربة..
وفي عبق الورود بين الخراب.

أحببتك كما تحب الشاعرة كلماتها الأخيرة
كما تحب العصفورة جناحها الأول
كما تحب الغريبة ضوء القمر..
في طريق بلا نهايات
حبّاً يضعف أمامه الزمن
ويقوى مع كل دمعة
حبّاً ينكسر قبل أن يتحطم
ويستيقظ من الرماد ليغني.

أحببتك كما تحب المدن الغارقة
فينيسيا التي تسكن الماء..
وتختبئ بين الظلال
تعلمنا أن الجمال مهدد
وأن الغروب جزء من الضوء
وتعلمنا أن العشق الحقيقي..
يقيم في قلب العاصفة
في عين الريح..
في صمت الأمواج..
في انفجار الليل.

أنا التي جئت إليك من حافة الغياب
أنا التي حملت في كفيّ ألف ذكرى
أنا التي زرعت على جبينك آلاف الأسئلة
أسئلة عن الرحيل..

عن الفقد..
عن الغياب..
عن الحنين..
أسئلة عن الحب الذي لا يموت
عن حلم يشتعل في الظلام
عن روحي التي تطير رغم كل القيود
عن قلبي الذي يرفض الانكسار.

أحببتك ..
كما بحب البحر المتمرد صخوره
كما يحب الليل نجومه
كما تحب الغريبة وطنها الأخير..
حبّاً لا يعرف خريطة
لا يعرف حدوداً
حبّاً يجعل من الألم أغنية..
ومن الوجع شعلة
ومن الغياب جناحاً يرفعنا فوق السماء
ليكون الحب روحاً تحيا بلا جسد
وحياة تتسلل عبر الحنين إلى كل شيء.

أنا التي صمتت..
حتى كاد الصمت أن يموت فيّ
أنا التي صرخت..
حتى كاد صوتي أن يختنق بين الصخور
أنا التي أحببتك ..
كما تحب الكلمات نفسها
كما تحب القصائد أجنحتها
كما تحب الروح الحرية
كما تحب الغربة وطنها.

أنا التي وجدتك في ضوء الفجر
في صدى المطر
في صمت الريح

في ظل الأشجار
في كل زاوية من زوايا قلبي
وفي كل لحظة تتساقط فيها النجوم على الأرض.

أحببتك..
كما تحب المدن القديمة حكاياتها
كما يحب الليل أسراره
كما يحب البحر موجاته
كما تحب الغريبة ضوء الشمس
على وجهها للمرة الأولى
حبّاً يدمج بين الصمت والصخب
بين الألم والفرح..
بين الغياب والحضور
حبّاً لا يعرف الانكسار، ولا يعرف نهاية.

أنا التي أكتب اسمك على أوراق الريح
أرسم صورتك على صفحة الفجر
أزرع حبك في قلبي كما يزرع الضوء في الظلام
وأنتظر..
كما تنتظر الريح المدينة
كما تنتظر الغريبة وطنها الأخير
كما ينتظر الشعر كلماته الأخيرة.

أنا التي تعلمت من العواصف لغة الصمود
ومن الغياب لغة الاشتياق
ومن كل دمعة شعلة
ومن كل وجع أفقاً واسعاً يتسع لكل الحالمين
وأعلم أن الحنين ..
يولد حياةً جديدة في كل نبضة قلب
وأعرف أن الألم
يمكن أن يتحول إلى نور
ينير دروب القلب المظلمة
ويزرع في النفوس أجنحة لا ترى إلا بالروح.

أنا التي أسير على حافة الليل
أتنفس عبق المطر
وأسمع همسات الريح
وألمس ظل الغياب على وجهي
وأستقبل الحنين
كما يستقبل البحر الأمواج
وأستقبل الحب
كما تستقبل الأرض المطر بعد صمت طويل.

أنا التي أؤمن أن كل كلمة يمكن أن تكون جناحاً
وكل حلم يمكن أن يكون مدينة
وكل دمعة يمكن أن تتحول إلى شمس
وكل فقد يمكن أن يولد حضوراً خالداً.

أنا التي أحببتك ..
كما تحب الريح نفسها
كما تحب الغريبة نفسها
كما تحب الروح الحرية
وأعرف أن الحب، مهما طال الغياب
يبقى جناحاً يرفعنا فوق الخراب..
فوق الزمن..
فوق كل القيود.

تراتيل أنثى في معبد الجرح

أنا...
امرأةٌ تعبت من حملِ قلبها كحجرٍ في الجيوب
ومن جرِّ خطواتها على أرصفةٍ
لا تعرفُ سوى أسماء المارّين العابرين.
أنا...
امرأةٌ تشبهُ مدينةً تطفئ أنوارها مبكراً
لتخفي خيبتها
وتشبهُ شجرةً
تساقطت أوراقها ولم تعد تعرفُ فصلها.

أيها البعيد ..
لقد علمتني أن الانتظارَ
أقسى من الموت
وأن الغيابَ
يمحو ملامحَ المرآة
حتى بتُّ أنظرُ إلى وجهي
كأنني غريبةٌ عني.

تعبتُ...
من ليلٍ يطيلُ مكوثه في غرفتي
ومن صباحٍ يدخلُ بلاك كضيفٍ ثقيل.
تعبتُ من مقاعدَ في المقاهي
تحفظُ فراغكَ أكثر مما تحفظُ أصواتَ الجالسين
ومن شوارعَ تلوّح للآخرين
بينما أنا أفتّشُ فيها عن ظلّك.

كم من مرّةٍ خبّأتُ رسائلي في أدراجٍ مغلقة
وكتبتُ اسمك على هوامش الكتب
كأنني أوقعُ وصيّتي.
وكم من مرّةٍ قلتُ للوقت:
"امضِ...

فلستَ سوى عدوٍّ يرتدي ساعة."

أنا...
امرأةٌ لم يبقَ لها من الأمل
سوى شرفةٍ تطلّ على الغياب
وساعةٍ تتثاءبُ من طول الانتظار.
أنا...
امرأةٌ تعبت من حكايتها
ومن حزنها الذي يكبرُ كطفلٍ بلا أب
ومن قلبها الذي ينهضُ كلَّ يومٍ
ليهزمَ من جديد.

ومع ذلك
ما زلتُ أهيّئ لك الطريق
أكنسُ غبارَ الغياب عن عتبة الروح
وأزرعُ ياسميناً على نافذتي
وأقولُ لنفسي:
ربما...
ربما يجيء الغائبُ آخر النهار
وربما يضيء اسمي على شفتيه
كما يضيء المطرُ وجهَ التراب.

بين صمت الليل ونبض الروح

أنا...
مركبٌ بلا شراع ..
أبحر في محيطٍ من ظلالي
ألتقط الأمواجَ المكسورة
وأجعل منها قناديلَ على شرفة الانتظار.
أنا...
امرأةٌ تعرف أن الليلَ لا يعيد إلا صدى الصمت
وأن القمرَ أحياناً يسرقُ الهمسَ من شفتي
ليودِعَه في عتمة الشارع الطويل.

تعبتُ...
من وجوهٍ عابرةٍ تشبهُ وجهي
ومن كلماتٍ تائهةٍ تتردّدُ على جدران الغرفة
تعبتُ من حكايةٍ كتبتها على أهداب الريح
وأرسلتها إلى قلبٍ بعيدٍ لم يعرفْ كيف يقرأ.

أيها الغائب ..
كنتَ ظلاً يمرّ بلا ملامس
وصوتاً يختبئُ في الزوايا
وأشباحاً ترقصُ على نغمات قلبي الممزّق.
تعبتُ من الانتظار
من صرخةِ المطر على سقف الروح
ومن ضحكاتٍ لم تكمل طريقها إليّ.

كم مرةٍ رسمتُ صورك في الهواء
وأطلقتها تحلقُ فوق المدينة
لتعود إليّ مذعورة
تحمل أخبارَ الغياب الطويل؟
كم مرةٍ غرستُ ورداً على عتبة الليل
وعلقتُ على كل زهرةٍ اسماً لا يعرفهُ أحد؟

أنا...
امرأةٌ تعرف أن الحزنَ أعمق من البحر
وأن الفقدَ يكتبُ على الجدران أسرارَه.
أنا...
امرأةٌ تحبُّ الليل كما تحبُّ القلبَ المجروح
تتعلم أن تنامَ على جمر الذكريات
وتستيقظَ كأن شيئاً لم يحدث.

تعبتُ...
من المرايا التي تعكس وجهي بلا روح
ومن شوارع تتذكر قدمي أكثر مما تتذكر حكاياتي
تعبتُ من أصواتٍ تعبر بلا أثر
ومن عيونٍ تمرّ بلا وداع.

لكن...
رغم كل التعب
أظلُّ أفتح نافذتي للريح
أستمع لصوتها حين يقرأ الليلُ اسمي
أزرعُ الياسمين على أطراف الحلم
وأهمس لنفسي:
ربما يعودُ الغائبُ يوماً
وربما يبتسمُ لي الفجرُ كما يبتسمُ لزهرةٍ انتظرت المطر.

أنا...
مركبٌ بلا شراع ..
لكنني أعلم أن البحر لن يبتلعني
وأن قلبي، رغم العاصفة
سيظلُّ يكتبُ شعوره
ويزرعُ الحنينَ كما تزرعُ النجومُ في سماء صافية
كما تزرعُ الأملَ في قلبٍ تعبَ لكنه ما زال يحلم.

أنا...
امرأةٌ تعرف أن الغيابَ قصيدة

والانتظارُ مرآة
والحبُّ نارٌ تذيبُ كلّ شيء إلا الأمل...
وأنا، رغم كل شيء
ما زلتُ أضيءُ قلبي
وأنتظرُ ..
وأكتبُ..
وأحلم...

كتبتك في حروف الروح

كتبتُكَ في حروفٍ من نورٍ
فتغزلتْ بي الكلماتُ كما لو كانت أنثى
تستفيق على نافذة العشق
وتتوضّأ من نهر صوتك.

يا أنتَ ..
يا المولود في شراييني
كيف أصفكَ؟
وكلما نطقتُ باسمك
انفتحتْ في داخلي
مجرةٌ من العطش
وحقولٌ من الندى.

معك...
تذوقتُ أول معنى للحب
وأول صلاةٍ للروح
وأول وطنٍ لا يحتلّ ولا ينسى.
أنتَ عنواني الذي لا يمحى
وعنوان الأرض حين تضيء بدمعة
أو بضحكة ..
أو بصوتكَ الذي يشبه المطر.

يا رجلاً من غيم ..
ومن نار ..
ومن نبضٍ يسرق الليل من ظلامه
أنتَ مسكني حين أُشرّد
وأنتَ أمانُ خوفي
حين يضجّ العالم بالحروب.

أحبكَ...
ما دام في القلب نبض

وإن توقف
فإن عشق الروح باقٍ
كما يبقى البحر في صوته
والسماء في زرقتها
والقصيدة في وجعها الجميل.

دعني أتنفّسك ..
كلما كتبتُ كلمة
كلما انحنى الحبر على الورق
فالعناق بين الحروف لا يحتاج لقاءً
يحتاج أن أسقيها من نبعك
أن أرتوي من حضورك
الذي يتسلّل كخيط ضوء
إلى شقوق الغياب.

أشتاقكَ...
كأنّي أشتاق نفسي
كأنك مرآتي التي ضاعت
وصوتي الذي غاب
وظلي الذي لم يعد يرافقني.

أريدكَ...
لا أريد سواكَ.
وإن كان الهوى احتراقي
فاحتراقٌ بك أجمل
من حياة بلا نارك.
أنتَ العشق الذي يسمو بروحي
إلى سماء لا ترى
إلى سفر لا ينتهي
إلى موت يشبه الخلود.

يا رجلاً في قلبي
في وريدي

في أحلامي التي لا تهدأ...
أكتبكَ
وأعرف أنّ الحروف تضيق بك
وأن لغات العالم كلها
لا تسعك
لكني أكتب
لأنّ الكتابة حين تكون عنك
تصير صلاة
وصيّة
ونجاة.

مسافرون

مسافرون...
نحن في سفينة الأحزان
نرسم في الهواء وجوهَ الغياب
ونسافر فوق بحارٍ لا تعرف الشاطئ
نحو أماكنٍ حيث لا صوت إلا للحنين
ولا نور إلا لأشعة تتشبث بأطراف الذكريات.

أنا...
أنا التي حملتُ المدينة في صدري
مدينةً من دموعٍ لم تروَ بعد
مدينةً من صمتٍ صارخ
من صدى خطواتٍ ..
تختبئ بين حروف الريح
من أغانٍ لم تغنَّ بعد على شاطئ العزلة.

مسافرون...
نحن، نحمل على أكتافنا
قصصَ من رحلوا قبل أن يولدوا
ونحمل وجوهَ الذين لن نلتقيهم
ونحمل صمتَ الأجداد ..
المفقودين في الرمال
ونحمل خيوطَ الشمس
في كفوفنا التي تنكسر عند الفجر.

أنا التي رقصتُ على أطراف الغيم
وحين سقط المطر صرتُ وردةً مبتلة
وحين حان الغروب ..
صرتُ ظلاً يتلوى على حافة النهر
وحين سمعوا أصواتي...
صمتوا
وصراخ كلماتي يخترق صمت أربعة قرون.

مسافرون...
نحن... على هذه السفينة
نقرأ الخرائط بلا اتجاه
نزرع الأمل على جذوع الشجر الميت
نحلم بالبحر ونحن في قلب العاصفة
ونعانق الغياب كما نعانق الأصدقاء قبل الرحيل.

أنا التي أحببتُ كل شيء
حتى ما لم أرَه ولم ألمسه
حتى الجراح التي رقصت على جسدي
مثل فراشات سوداء
حتى الريح التي سرقت أصوات الطيور مني
حتى الليل الذي جلس بجانبي
وعلمني ألا أستعجل الضوء.

مسافرون... نحن...
نكتب رسائل إلى أماكن لن نصلها
نغني للحزن ألحان العصافير الميتة
نزرع على الشواطئ أحلاماً لم تتحقق
ونعود إلى أنفسنا كما يعود الغريب إلى وطنه القديم
نحمل في عيوننا عاصفةً من الذكريات
وفي قلبنا موجةً من الوجع
وفي شفاهنا قبلةً لم تعطَ بعد.

أنا التي رأيت الحب في قاع كوبٍ فارغ
والعزلة في وجه طفلٍ ضاع في السوق
والحرية في دمعةٍ لم تسكب بعد
والأمان في ابتسامةٍ هربت من نافذة الحياة.

مسافرون...
نحن في سفينة الأحزان
لكننا نصرخ..
نضحك..

نغني..
نكتب...
نزرع الزهور في البحر
نشتري النجوم من السماء
ونحمل الريح في أيدينا
ونعلّم الليل أن يهدأ قليلاً
لنستطيع أن نحلم بالرجوع إلى وطنٍ لم نغادره بعد.

أنا...
أنا التي أسكن بين الحروف
أترك بصمات أصابعي على صفحات الزمن
أكتب باسم كل من لم يسمعوا
أرسم بأجنحة صمتٍ لا ينكسر
أغني للحياة رغم أنف الحزن
وأظل مسافرةً
حتى آخر قطرةٍ من دموع البحر.

مسافرون... نحن...
نحو الغد..
نحو الضوء..
نحو الذكريات
نحمل قناديل الأمل في لياليا المظلمة
ونبني جسوراً فوق الألم
ونستمر... لأن الرحيل ليس النهاية
ولأن القلب... مهما تألم...
يبقى سفينةً... ومسافراً...

آه يا زمن

آه يا زمن...
كم طريقي طويل ..
وكم جراحي غدرٌ ..
وكم صارت ملامحي غريبةً عن وجهي
كم حلماً دفنته بين صفحات الليل
وكم وجهاً أحببته حتى آخر رمق... ثم أضاعني.

أنا...
أنا المرأة التي تكتب بدمها
تخبئ طفولتها في جيب الريح
وتزرع شبابها في صحراء الغياب
وترسم على جدار قلبها أغنيةً لم تكتمل.

آه يا زمن...
أنتَ الذي عبرتَ بي بلا سؤال
تركتني أبحث عن يدي بين أنقاض الحنين
ألمس كتفي فلا أجدني
أمسك صورتي فلا أتعرف إليّ
وأضحك أحياناً ..
كي أخفي دمعةً تتدلى من جفن الغربة.

كم طريقي طويل...
كأنني أسير على جسرٍ من لهب
كأن الأرض تنزف من تحتي
كأنني أجرُّ خيبتي كما يجرُّ الليلُ ظلَّه
ولا أرى نهايةً إلا بداياتٍ تتكسر عند أول صخرة.

وكم جراحي غدرٌ...
كلما منحتُ قلبي
عاد إليّ مثقوباً بالطعنات
كلما رفعتُ وجهي للشمس

غطتني غيوم الخيانة
وكلما صرختُ في وجه العالم: "أنا هنا"
سمعتُ صدى صوتي يعود من جدرانٍ صمّاء
كأن الكون كله يتآمر مع العزلة عليّ.

آه يا زمن...
خذني إليك دفعةً واحدة
لا تقسّمني إلى أيامٍ مبتورة
ولا تدعني أتعثر في ساعاتٍ يتيمة
خذني كما أنا:
امرأةً بلا وطنٍ ولا مرسى ..
امرأةً تشرب الحنين كالماء
وتأكل الانتظار كالخبز اليابس.

أنا التي علّقت قلبها على حبل الريح
ووقفت على أبواب المدن كالغريبة
أجمع من الطرقات بقايا أغنياتي
وأحمل على كتفي جنازات أحلامي
وأمشي...
أمشي كأن الطريق قدري
وكأن لا نهاية لخطواتي إلا البداية ذاتها.

آه يا زمن...
لماذا جعلتني نخلةً في صحراء
تجلَد بالريح ولا تموت؟
لماذا تركتني قصيدةً تقرأ ولا تفهم
أغنيةً تغنّى ولا تكتمل
امرأةً تكتب كي لا تختنق
وتبكي كي لا تذوب؟

كم طريقي طويل...
لكنني أسير
أحمل صبري كما تحمل السفن أعمدة المدى

أرتق بالقصائد ثقوب قلبي
وأضع على جرحي وردة
وعلى انكساري قنديلاً من رجاء.

وكم جراحي غدرٌ...
لكنني أبتسم
أضحك كي أقاوم موتي البطيء
أغني كي لا يسمع الحزن صمتي
أرقص على أطراف الظلال
كأنني أحتفل بالخراب
وأقول: ما دام في القلب نبض
فلن ينتصر الغياب.

آه يا زمن...
يا عدوّي وصديقي
يا سيفي وغمدي
يا من علّمتني أن الحب ليس وطناً
وأن الخيانة ليست قدراً
وأنني مهما انكسرتُ سأقوم
ومهما نزفتُ سأكتب
ومهما متُّ... سأعود في قصيدةٍ جديدة
أرفع وجهي إلى السماء
وأصرخ:
"ما زلتُ حيّة...
ما زلتُ أنثى...
ما زلتُ أقاوم!"

آهٍ يا زمن ..
كم جرّدتَني من ملامحي
وسرقتَ من وجهي إشراقة الفجر ..
حين يولد في عيون الطفولة
وكم تركتني أتهجّى أسماء الغياب
على جدران بيتٍ لم يعد يسكنه أحد.

كم طريقي طويلٌ...
يمتدّ كسيفٍ مسلولٍ على خاصرة الليل
كأنني أمشي فوق خرائط من الملح
أحمل حقائب من رماد
وأبحث عن يدٍ تعيد لخطوتي معنى الأمان.

وجراحي كثيرة...
ليست من سكاكين الغرباء وحدهم
بل من أقرب القلوب ..
التي خبّأت الخيانة في ابتسامتها
ومن أرصفةٍ لم تحفظ وقع قدمي
ومن أبوابٍ أوصدتها الريح في وجهي
حين طرقتها بنبض القلب لا بصوت الحديد.

غدروا بي، يا زمن..
غدروا بالحنين الذي خبّأته في جيب معطفي
وبالأغنية التي علّقتها على حبال الغيم.
حتى الطيور خانتني
تركتني وحيدةً في فصول الشتاء
أعانق ريحاً لا تعود
وأهدهد صمتاً لا ينكسر.

لكنني..
رغم انكساري..
أحمل في داخلي امرأةً لا تنحني
امرأةً تعيد صياغة نفسها من رمادها
وتنبت كالزعتر في شقوق الجدران
وتكتب قصيدتها على ضوء شمعةٍ
تقاومُ أنفاس العاصفة.

آهٍ يا زمن ..
هل تسمعني؟
أنا تلك التي مشتُ في حقولٍ من الشوك

ورقصتُ في جنازاتِ أحلامها
ومع ذلك ظلّت تغنّي للغد
كأن الغد وعدٌ لا يخون.

كم أحببتُ...
كم بكيتُ...
وكم علّمتُ عيوني أن تصير بحراً
كي أخفي في لجّته غرقَ قلبي.
وكم سمعتُ صدى صوتي
يخترق صمت أربعة قرون
كأنني أصرخ باسم الحياة
في وجه الفناء.

فيا أيها الزمن ..
خذ ما شئت من أيامي
لكن اتركني أكتب قصيدتي الأخيرة
على جدار المساء...
قصيدةً لا يقرؤها أحد
إلا قلبي الذي لم يملّ الانتظار.

غريبةٌ أنا

غريبةٌ أنا...
بين حزنٍ أصفرَ يذبلُ في عروقِ النهار
وجنحِ ليلٍ يربط روحي
بأغلالٍ من صمتٍ ثقيل
كأنني ظلٌّ بلا جسد
أو أغنيةٌ انكسرَ لحنها
في منتصفِ الطريق.

غريبةٌ أنا...
كأنني ولدتُ من فجرٍ مكسور
وحملتُ في كفي رمادَ مواقدٍ خامدة
أقلبه علّ جمرةً تعيدُ الدفءَ إلى صدري
لكنني لا أجدُ سوى رمادٍ يتذكرني
أن النارَ مرّت هنا... ثم انطفأت.

غريبةٌ أنا...
أمشي على أرصفةٍ لا تحفظ خطاي
كأنها تنكرُ اعترافي بالانتماء
والشجرُ يشيحُ بوجههِ
كلما حاولتُ أن أُسنِدَ وحدتي إلى جذعه
حتى الغيمُ . ذلك المسافرُ الحر .
يخافُ من عبوري بين ظلالهِ
كأنني دخيلةٌ حتى على الهواء.

غريبةٌ أنا...
بين وجوهٍ تتشابهُ كالحصى
لا أجدُ بينها ملامحي
ولا تنعكسُ روحي في عيونها
كأنني مرآةٌ مكسورة
ترى العالمَ كلَّه
ولا ترى نفسها.

غريبةٌ أنا...
بين لغاتٍ تفتّتُ أنفاسي
كأنّ الحروفَ خلقتْ لتفضحني
أكتبُ اسمِي في دفترِ الريح
فتبعثرهُ زوبعةٌ عابرة
كأنني لا أستحقُّ حتى بقاءَ الاسم.

غريبةٌ أنا...
تمطرني ذاكرةٌ بأسماءِ الراحلين
وأحلامي تتدحرجُ كالكراتِ الزجاجية
تتكسرُ عندَ قدمي
غريبةٌ كطفلةٍ تبحثُ عن يدٍ تمسكها
فتجدُ الأبوابَ كلَّها مغلقة
وصوتها وحده يتردّدُ في الفراغ.

غريبةٌ أنا...
أحملُ قلبي كقنديلٍ مطفأ
أدورُ بهِ في الأزقة
علّ نجمةً تعيدُ إشعاله
لكنَّ النجومَ مشغولةٌ بحكاياتِ العاشقين
وأنا وحدي أنظرُ إليها
كما ينظرُ السجينُ إلى نافذةٍ بعيدة
لا تنقذه.

غريبةٌ أنا...
بين الحنينِ الذي ينهشُ أضلعي
والمنفى الذي يبتلعُ أيامي
غريبةٌ كجناحِ طائرٍ مكسور
يحلمُ بالطيران
ويخافُ من السقوط.

غريبةٌ أنا...
كأنني لم أُخلق للعودة

ولا للرحيل ..
كأنني حكايةٌ ناقصة
سطرٌ أخيرٌ محذوفٌ من كتابٍ قديم
قصيدةٌ لم تكتمل
وصوتٌ ضاعَ في زحمةِ الصدى.

غريبةٌ أنا...
أجلسُ على حافةِ الروح
أُراقبُ الغيابَ يمرُّ كموكبٍ ثقيل
ألوّحُ له ولا يلتفت
أبكي ..
فتضحكُ الأرضُ من ملوحةِ دموعي
وتقول: ليست هذه أولَ مرة
يسقط فيها بحرٌ من عينٍ صغيرة.

غريبةٌ أنا...
أكتب وجعي كما تكتب الأشجارُ دوائرها السرية
أخزّنُ مواسمي في حنجرةٍ صامتة
وأزرعُ بقاياي في حديقةٍ بلا أبواب.
كلما حاولتُ أن أخرجَ منها
أعادني الطريقُ إلى داخلي
كأنني سجينةُ ذاتي
ومفتاحي ضاعَ
في جيبِ القدر.

غريبةٌ أنا...
لكنني، في غربتي
أحملُ وطناً صغيراً
خيط ضوءٍ عنيداً
ورغبةً أن أصرخَ:
يا أيتها الحياة،
لا تطفئي قنديلي،
حتى لو كانَ رماداً،
حتى لو كانَ رماداً...

غريبةٌ أنا...
وحيدةٌ بين أنين الكلمات
لا تنصتُ لقلبي، ولا تصغي لصراخي
كأنَّ الحروفَ غريبةٌ عني أيضاً
تنظرُ إليَّ من وراءِ ستارٍ من صمتٍ ثقيل
وتمضي بي كما يمضي الغريبُ
على بابِ مدينةٍ لا يعرفُ اسمها
فيرحلُ قبل أن يسألَ عن الطريق.

غريبةٌ أنا...
في سوادِ فنجانِ قهوتي
ذلك البحرُ الضيقُ الذي يبتلعُ وجهي
ويعيدُ إليَّ ملامحي ممزّقةً
كما لو كنتُ امرأةً من زجاجٍ
تشظى في مرايا الليل.

غريبةٌ أنا...
بين دخانِ سيجارتي
يتلوَّنُ بالرمادِ ثم يصعدُ متعثراً
كأرواحٍ تائهةٍ تبحثُ عن خلاص
أو كأحلامٍ أطفأها الغياب.
أراقبُ خيوطه وهي تتلاشى
وأدركُ أني مثلها:
أصعدُ قليلاً...
ثم أذوبُ في الفراغ.

غريبةٌ أنا...
بين صراخِ ذاكرتي
ذاكرتي التي لا تهدأ
تنهشني كما تنهشُ الريحُ
أبوابَ بيتٍ مهجور
وتعيدني إلى مرافئ بعيدة
تركتها بلا وداع

إلى وجوهٍ كنتُ أحبها
ثم اختفت
إلى أصواتٍ كانت تشبه الأغاني
فأصبحت نواحاً مبللاً بالدمع.

غريبةٌ أنا...
عنيدةٌ بين دموعي
أكابرُ في حضرةِ انكساري
أخبّئُ وجعي تحت وسادةٍ
يعرفُ سرَّها الليل
وأقول: لن أبكي!
لكنَّ الدموعَ تسيلُ من داخلي
كما تسيلُ أنهارٌ سرّيةٌ
في جوفِ الأرض
لا يراها أحد
لكنها تغرقُ المدن.

غريبةٌ أنا...
في مدنٍ لا تعرفني ..
في شوارعَ تمحو خطاي
كأنني ظلٌّ فائض
في أزقةٍ تبتلعُ أصواتي
ثم تتركني بلا أثر
في مقاهٍ تمضغُ الوقت
وتبصقه في وجهي
في مقاعدَ ينامُ عليها العابرون
وأنا أبقى واقفةً
كأنني خيط دخانٍ
لا كرسيَّ له
ولا ذاكرةَ لجلوس.

غريبةٌ أنا...
في حضنِ الوحدة ..

أحادثُ مرآتي كأنها صديقةٌ عمياء
وأمدُّ أصابعي على وجهي
كمن يفتّشُ عن نفسه في الظلام
فلا أجدُ إلا امرأةً أخرى
تشبهني ولا تشبهني
امرأةً لا أعرفها
ولا أعرفُ كيف تسلَّلت إلى أعماقي.

غريبةٌ أنا...
في لغتي التي تئنّ
في قصائدي التي تنكسرُ
كأكوابِ بلّورٍ على أرضٍ باردة
في صوتي الذي يتردّدُ في الغرف
ثم يخبو
كأنني لستُ سوى رجعِ صدى
لصرخةٍ لم تولد بعد.

غريبةٌ أنا...
في الليل
حين يحتشدُ حولي السكون
كجيشٍ من صخورٍ سوداء
وحين أمدُّ يدي
فلا أصطادُ إلا خواءً
وحين أغمضُ عيني
فتنبتُ المقابرُ في داخلي
كحديقةٍ من ظلالٍ حزينة.

غريبةٌ أنا...
كشجرةٍ واقفةٍ على حافةِ صحراء
لا ظلَّ لي
ولا ماء يبللُ جذوري
ولا طيورَ تلوذُ بأغصاني
لكنني ما زلتُ واقفةً

أقاومُ الريح
وأقاومُ الجفاف
وأقاومُ غربتي بي.

غريبةٌ أنا...
لكنني امرأةٌ عنيدة
لا أستسلمُ للنهايات
أبني من دموعي نهراً
ومن رمادِ سيجارتي وردةً
ومن فنجانِ قهوتي قمراً أسود
أهتدي به إلى صباحٍ جديد.

غريبةٌ أنا...
لكنني أكتبُ اسمي
على جدارِ الزمن
وأقول: أنا هنا
ولو كنتُ وحدي
ولو كنتُ غريبة
ولو لم يفهمني أحد.

أنا... التي ولدتُ من الرماد
وسأبقى حتى آخرِ الحلم
امرأةً
تقاومُ غربتها بالكلمات.

تراتيل العشق في غيابك

سأسقيكَ عمري
إن جفَّت ينابيعي
وأهديكَ وردَ صبري
إن تكسَّرتْ في يدي فصولُ الحدائق.

لا تطعمني سراباً
فأنا جائعةٌ إلى يقينك
ولا تزرع في روحي وهماً
فالأرضُ التي تشتاق المطر
لا تروى بظلِّ غيمةٍ عابرة.

قد لا يخذلني القلبُ
حين تهمس باسمي
لكنني أرتجفُ كطفلةٍ
ضاعَت في دهاليز الليل
تبحث عن كفِّ أمٍّ
لتستعيد بها دفءَ وجودها.

الحنينُ يستفزّ الفكرَ
كما تستفزّ النارُ أجنحةَ الفراشات
وأُجادلُ الروحَ فيك:
أأنتَ ضوءٌ يليقُ بعتمتي؟
أم جرحٌ يتسعُ كلما حاولتُ أن ألتئم؟

تعذّبني الأشواقُ
حين يتأخر القمرُ عن شرفة الليل
وحين يغيب صوتك
يصبح السكونُ مقبرةً للأحلام.

أهواك...
إن خبّأتَ الحلمَ في عينيك

وإن تركتني عاريةً من المعنى.
أهواك...
حين تغدو لحظتي كلَّ زمن
وحين أجدُ في غيابك
حضوراً لا يرحل.

أنتَ محنتي
كما أنتَ معجزتي.
أنتَ من سرقَ إرادتي
وتركني أعانقُ صدى خطاك
كأنني أُطارد ظلّي
وكأنني أكتبك في غيابك
كي لا ينكسر داخلي.

يا مَن تسكنني
يا وطنَ الحلم
خذني إلى طرقاتك القديمة
حيث كنّا نكتب على الجدران
شِعراً من لهفة
ونرسم قلوباً من طبشورٍ
تذيبها أولُ مطرة.

علّمني كيف أُروّض قلبي
وهو يركض نحوك
كما يركض الغريبُ إلى بيته
وكيف أُطفئ شعوري إليك
وأنا أراكَ في قهوتي
في كتبي
في أحرف قصائدي
وفي المرآة حين أواجه نفسي.

أيها البعيدُ القريب
إن عُدتَ

سأفرش لك الوقتَ سجادةً من ياسمين
وأُعلّق على عنقكَ
نجومَ وحدتي
وأغسلُ جراح أيامي
بصوتك.

وإن لم تعد...
فسأظل أكتبك
كما يكتب البحرُ ملوحته على الصخور
وكما يكتب الفجرُ ميلاده في السماء
وسأظلُّ أهواك...
رغم المحنة
ورغم سلب الإرادة
ورغم أنني لم أعد أملكُ من نفسي
سوى اسمك.

يا عازفَ روحي

يا عازفَ روحي...
أسمعك في ارتعاشةِ أوتارِ المساء
حين يطرّز الليلُ ستائره بالأنين
وأشعرُ أنَّ أنفاسي
ليست سوى موسيقى
تتعثرُ بين أصابعك.

أراكَ في قهوتي ..
بين فنجانٍ يبردُ ببطءٍ
كأنّه ينتظركَ أن تنفخَ فيه.
أراكَ في دخانِ سيجارتي
يتسلقُ الهواءَ مثلَ طيفٍ عنيد
ثم يذوبُ في سقفِ الغرفة
كما يذوبُ الحلمُ في الفجر.

يا أحرفاً من قصيدتي
يا فجراً يولدُ من قلمي
ويا حنيناً يقيمُ في لغتي
كيف أكتبك؟
وأنتَ الذي تسكنُ بين السطور
وأنتَ الذي يجعلُ الورقَ يتنهّدُ
حين يلمسُه اسمك.

أيها البعيدُ القريب
كلُّ الطرقاتِ التي مشيتها إليك
تفضي إليّ
كلُّ النوافذِ التي طرقتها
أوصدها الغياب
فبتُّ أكتبك في وجهي
في أصابعي
في خطوطِ يدي

كأنني أقرأُ طالعَ عمري فيك.

أنتَ زمني ..
فإن تأخرتَ تعطلتِ الساعات
وإن حضرتَ
انشقَّ النهارُ عن ولادةٍ جديدة.
أنتَ مكاني
فإن غبتَ
تحولَ البيتُ خراباً
والأرضُ منفى
والسماءُ سقفاً من رماد.

يا من تخطو في داخلي
كأنك تصلي في معبدٍ من دموعي
يا من تسكنني كما تسكنُ النوارسُ
أسرارَ البحر
وتستريحُ كما تستريحُ الغيومُ
في حضنِ الجبال
هل تدري أنني أتنفسك أكثر
مما أتنفسُ الهواء؟

أنا التي علقت قلبها
على مشجبِ الانتظار
وأنا التي خبّأت صوتكَ
في جرّةِ الماء
لأشربكَ حين يظمأ الحنين.
وأنا التي تتعثرُ باسمكَ
كلما حاولتُ أن أمشي
في طرقاتِ النسيان.

يا عازفَ روحي
علّمني كيف أُروّض عطشي إليك
وكيف أُطفئُ شعوري نحوك

وأنتَ في قهوتي..
في دخانِ سيجارتي..
في أحرفِ قصائدي..
وفي المرآةِ حين أواجهُ نفسي.

أنتَ وردتي الأخيرة
إن ذبلتَ... ذبلتُ
وأنتَ نجمتي الوحيدة
إن انطفأتَ... انطفأتُ.
كيف أستطيعُ أن أكون؟
وأنتَ الذي تمسكُ بي
كما يمسكُ الخيط برقصةِ طائرةٍ ورقية
في مهبِّ الريح.

أهواك...
كما يهواكَ الصبحُ حين يستيقظُ على اسمكَ
كما تهواكَ الجبالُ حين يمرُّ بها صداكَ
كما تهواكَ الأرضُ
حين تنبتُ زهوراً من خطاك.

يا كلَّ لحنٍ لم يعزف بعد
يا قصيدتي التي لم تكتمل
يا رحلتي التي لم تنتهِ
خذني إليك...
خذني إليك...
فأنا لم أُخلق إلا كي أُحبّكَ
ولم أكتبْ
إلّا كي أُبقيكَ حيّاً في كلماتي.

سيمفونية العاشق المنفي

(١) موسيقى القلب

يا عازفَ روحي..
أيُّ وترٍ شددتَه في أعماقي؟
كلما صمتُّ... عزفتَ
وكلما عزفتُ... بكيتُ.

أراكَ في قهوتي
في مرارتها التي تذكرني بغيابك
وفي سكرها الذي يذكرني بقدرتك على الغفران.

وأراكَ بين دخانِ سيجارتي
ظلّاً يتلوّى في الهواء
ثم يختفي
كما يختفي عاشقٌ منفيٌّ خلفَ حدودٍ لا ترى.

(٢) الغياب

يا أيها الغياب..
كيف صار وجهكَ مرآتي؟
كلما نظرتُ من نافذتي
رأيتكَ تسكنُ في عيون المارّة.

علمتني أن الليلَ بلاكَ أعمى
وأن النهارَ بلاكَ أبكم
وأن الكتابةَ بلاكَ يتيمة.
فما جدوى القصيدة إن لم تمرَّ أنتَ في حروفها؟

(٣) الحب

أُحبكَ...
كما يحب العصفورُ أولَ قطرةِ ماء
وكما يحب اليتيمُ يداً تمسحُ رأسه

وكما يحب المنفى أولَ عودة.

أُحبكَ...
ولو كنتَ قدري الذي لا يغيَّر
أو موتي الذي يتأجّل
أو سمائي التي تقيمُ في قلبِ غيمةٍ لا تمطر.

(٤) الذاكرة

أذكركَ في تفاصيلٍ صغيرة:
في رائحة المطر على الأرصفة
في فنجانٍ مكسورٍ نسيته على الطاولة
في كتابٍ قديمٍ خططتَ على هامشه جملةً
ثم نسيتَ معناها.

أذكُرُكَ في صورٍ لا يراها أحد:
في ارتجافةِ يدي حين ألمسُ الهواء
في ارتباك اللغة حين يداهمني طيفك
في دمعةٍ تتردّد قبل أن تسقط
كأنها تخشى الفضيحة.

(٥) الوطن

أنتَ يا وطني
وإن كنتَ شخصاً.
أنتَ يا وطني
وإن كنتَ فكرة.

فيكَ أجدُ جذوري
وفي غيابك يتيهُ اسمي.
تعالَ لنزرع شوارعَ جديدة
كي لا يبقى الخرابُ بلا أغنية
ولا يبقى الليلُ بلا قمر.

(٦) الأبدية

يا عازفَ روحي
أيُّ زمنٍ هذا الذي يجمعنا؟
أأنحن أبناءُ اللحظة
أم أسرى الأبد؟

خذني إلى حيث لا موتَ للقصيدة
ولا شيخوخةَ للحب
ولا معنى للغياب.

خذني إلى أولِ لغة
إلى حين همسَ آدمُ باسمِ حوّاء
واكتشف أنّ القلبَ
هو أصدقُ كتاب.

(٧) اعتراف أنثى

أنا المرأةُ التي تكتبكَ بدمها
وتخبّئُ اسمكَ في خاصرةِ الليل
أنا التي تربّي غيابكَ في صدرها
كما تربّي الأمهاتُ أطفالهنَّ على الأمل.

أنا التي كسرتْ مرآتها
كي لا ترى سواكَ
أنا التي علقت قلبها على مشجبِ الصبر
كي يظلَّ يطرقُ بابكَ كلَّ صباح.

أعترفُ...
أنني لم أعُد أعرفني إلا بك
ولم أعُد أملكُ من نفسي سوى ظلك
ولم أعُد أُتقنُ سوى لغةٍ واحدة:
لغة الحنين إليك.

(٨) النشيد الأخير

يا عازفَ روحي
لا تنطفئ...
فأنا بلا موسيقاكَ صمتٌ يتكسّر.

لا ترحل...
فأنا بلا عينيك ظلٌّ بلا ملامح.

لا تسكت...
فإن صمتَّ
مات في داخلي كلُّ ما هو حيّ.

ابقَ...
كي يظلَّ لي وطن
ويظلَّ لي بيت
وتظلَّ لي قصيدة
لم تكتب بعد.

أناديكَ أبعدَ من الغياب

أنا التي ولدتُ من ضلعِ الغيم
ومن رحمِ المنافي
أنا التي هدهدَها البحرُ طفلةً
ثم تركها على شاطئٍ
تعدّ الموجَ واحداً... واحداً...
حتى نامت بين ذراعي الانتظار.

أنا التي أودعتُ فيك فصولي كلها:
شتاءَ روحي
ربيعَ قلبي
صيفَ جسدي
وخريفَ ذاكرتي.
أنا التي لا تملكُ من العالم
إلا صورتكَ مؤجلةً في المرآة
وخطواتِك المعلقة
على جدار الحنين.

أحببتكَ... كما تحبُّ الأرضُ مطرها الأول
وكما يحبُّ الطائرُ ظلَّ جناحه
أحببتكَ في خوفي
في ضعفي
في وهني
وفي ثورتي على نفسي.

أنا الأنثى التي تحرسك من الغياب
تسندكَ بالقصائد
وتفتّش عنك في ملامح الغرباء
كأنك مدينةٌ سقطت من الخرائط
أو وطنٌ يتيمٌ بين الأمم.

يا رجلاً يتربّعُ في صدري

كأنه قمرٌ أبدي
علمتني أن الليلَ لا يخشى العتمة
وأن القصيدةَ لا ترتجفُ من الفراغ
وأنني حين أُغمضُ عيني
أراكَ كل الجهات.

أنتَ لستَ رجلاً فقط
أنتَ نافذتي على الكون
مفتاحُ سرٍّ ضاع بين الكتب
وأنا المرأةُ التي تسكنكَ
كما تسكنُ الأغنيةُ دمعةَ العود.

أنا التي عرفتُ الغربةَ في ظهرك حين ابتعدت
وعرفتُ الوطنَ في يديك حين عدت
أنا التي لم تتعلّم النسيان
ولم تتقن لغةَ الغياب.

أكتبكَ...
كما تكتبُ الأرضُ بالدم
كما ينادى العشبُ بالمطر
أكتبُكَ لتبقى
ولتخلدني الكلمات.

خذني إليك ..
كما تأخذُ النارُ سرَّها إلى الرماد
كما يأخذُ الشهيدُ صوته إلى الأرض
خذني إليك كما يأخذُ البحرُ قارباً
ويذيبه في زرقةِ الخلود.

أنا التي لا خلاصَ لها منك
ولا خلاصَ لك منّي
فأنتَ قدرُ أنوثتي
وأنا لعنتُكَ الجميلة
نصيبُك من الشعر

ونصيبُك من العذاب.

أنا التي ما زلتُ أفتشُ عنك
بين شقوق الليل
أنا التي إذا ناداني الغيابُ...
أجبتُ باسمك
وإذا ناداني الموتُ...
أجبتُ باسمك
وإذا سألني الله يوماً:
مَن تُحبين؟
قلتُ: هو...
ولا سواه.

أنا والليل... والكلمات

أنا امرأةٌ أخرجتني الليالي من رحمها
ورمتني في حضن الكلماتِ
كطفلةٍ بلا بيت
أو كنجمةٍ بلا مدار.

أنا امرأةٌ تحيك من الحروف ثوبها
كل حرفٍ خيط جرح
وكل جملةٍ
وشاحُ ذاكرةٍ
يلتفُّ حول عنقي كقدرٍ لا يزول.

في هذه الليلة ..
الليلُ مرآتي
والقمرُ مصباحي الوحيد
أشرب نوره كخمرٍ عتيق
وأغني للحبر الذي سال في وريدي
كأنه دمٌ آخر.

أيتها الكلمات!
أما تعبتنَ من الركض في دمي؟
أما مللتنَ من حراسة وحدتي؟
أنا التي كلما أمسكتُ بكنَّ
انفرطتنَّ كعقدٍ على صدر الغياب.

اكتبيني...
كي لا يأكلني الصمت.
اكتبيني...
كي أجد في الورق أمومةً ثانية
وأجد في الحبر وطناً
لم تخنه خرائط الجغرافيا.

أنا امرأةٌ
أحملُ في حقيبتي سماءً من المواعيد المؤجلة
وكتباً تركها العاشقون على الأرصفة
ورائحة قهوةٍ ..
بردتْ على طاولةٍ لم يقترب منها أحد.

كلَّ ليلةٍ
أضع رأسي على وسادةٍ من أسئلة:
من أنا؟
ومن سيكتبني إذا انكسرتْ يدي؟
من سيغنّي للعزلة إذا رحل صوتي؟

أيّها الليل ..
أيها الأزرقُ الذي يشبه جرحاً على جبين الأرض
علّمني كيف أزرع القمر في صدري
وأعلق النجوم على أهدابي
كأقراطٍ من فضةٍ لا تصدأ.

أنا امرأةٌ
أصغي لوقع المطر كما لو كان اعترافاً
وأقرأ الغيوم كما لو كانت رسائلَ من مجهول
وأهدهد نفسي بالقصائد
كما تهدهد الأمهاتُ أطفالهنَّ بالنسيان.

الكلماتُ تعرفني أكثر من أيِّ عاشق
تلمسني حيث لم يلمسني أحد
وتسكنني كما يسكن البحرُ
في زجاجةٍ صغيرةٍ يبيعها السائحون.

أيتها الكلمات ..
كوني جسدي حين يتفتت
كوني لي جناحاً حين يثقلني التراب
كوني لي غداً
أعبر به هذا الليل الطويل.

أنا لا أطلب معجزة
يكفيني أن أفتح نافذةً على بياض الورق
وأسمع ارتطام حروفي بالفراغ
يكفيني أن أرى حزني وهو يزهر ورداً
على هامش قصيدة.

يا ليلتي ..
يا جرحاً يضيء
يا قصيدةً لم يكتبها أحد قبلي
خذيني كما أنا:
امرأةٌ من ماءٍ ونار
امرأةٌ تنام في حضن الكلمات
وتصحو على أنينها
امرأةٌ لا تملك سوى لغتها
ولا تشتهي سوى حريتها.

وسأكتب ..
سأكتب حتى ينهض الفجرُ من بين أصابعي
وحتى يصدق البحر أنني موجته
وحتى يؤمن الغيابُ
أنني الغائبةُ الحاضرةُ
في كل قصيدة.

امرأة تكتب كي لا تُمحى

أنا امرأةٌ
أحملُ بين يديَّ قنديلَ المسافات
وأجمعُ من رمالِ الصحارى
خطواتٍ ضاعت منذ قرون.
أصغي إلى أنينِ الريح
كما لو كان همسَ أمي
وأقرأُ في وجوهِ الغيوم
وصايا العابرين.

أنا امرأةٌ
تطاردها النجومُ الداكنة
تسألها: "لِمَن تضيئين بعدي؟"
فتجيبني السماءُ بصمتٍ بارد:
أنتِ ومضةٌ على الهامش...
فامضي ولا تسألي.

أكتبُ كي لا يشيخَ قلبي
وأخط على الورق
أغاني خريفٍ يتهاوى
وأشجاراً تركت ظلها على الطرقات
وأوراقاً صفراء
تحفظ أسماءَ الراحلين.

كلُّ جملةٍ عندي جنازة ..
وكلُّ كلمةٍ جرحٌ
ينبتُ فوقه وردٌ مذبوح.
أكتبُ كي أُمسكَ نفسي من الانهيار
وكي لا تلتهمني العتمة
كما تأكل النارُ
خشبَ المواقد القديمة.

أيها الغياب ..
أيها البحرُ الذي لا يردُّ الموجة
أما تعبتَ من ابتلاع ملامحي؟
أما شبعتَ من انتظاري؟
أنا التي تصلي مع أيلول
وتقف على عتبات الشتاء
بلا ظلٍّ ولا حطب
أخبّئ بردي في معطفِ الكلمات
وأقول: سيأتي...
سيأتي أميرُ قلبي
ولو متأخّراً.

لكنني لا أصدّق.

أحياناً ..
أنقذ نفسي بوهم السفر
أحملُ حقيبةً من هواء
وأصعد طائرةً من خيال.
أسافرُ بالروح
حين يخونني الجسد
وأجلسُ قرب نافذةٍ من حنين
أرى من ورائها
حمائمَ بيضاء
تتعلم الأبجدية
تخطئ في هجاءِ اللقاء
لكنها تحلق من جديد
كفرحٍ بريءٍ لا يعرف السقوط.

في الليالي الباردة
أسمعُ الربابةَ تبكي
وأسمع الريحَ تعوي خلف جدار قلبي
وأهتف:
خذيني، أيتها النغمةُ الجريحة

إلى حيثُ يدفنُ الغيابُ أسراره.

أنا امرأةٌ
كانت تلاعب الهلالَ صغيراً
وتغني له:
"ابقَ هكذا طفلاً،
لا تكبر،
فالكِبَرُ وحشٌ
يلتهمنا جميعاً."

أنا امرأةٌ
حين يسقط الورقُ عن الأشجار
تسقط معها أجزائي
وحين تنوحُ الحمائمُ على الأسطح
أسمعها تردّد اسمه
وأعرف أن المواويلَ القديمة
ما زالت تحفظ صوته.

فلتكن الحريةُ لي
ولو على ورقٍ أزرق.
ولتكن أمانينا
مركباً من غيومٍ ومطر.
ولتكن قصيدتي
سورةً أخرى من الرعد
أتلوها على أبواب الغياب
علّها تفتح.

أنا امرأةٌ
تكتب كي لا تُمحى ..
تصرخ كي لا تُطفأ ..
تقاوم كي لا تتحول
إلى ظلٍّ في كتاب.

فخذني يا ليل ..

خذني يا بحر
خذني يا كلمات
إلى حيث لا فِراقَ ولا موعد
إلى حيث تصير الأرضُ واسعةً كقصيدة
والسماءُ رحبةً كقلبٍ
لا يعرف الموت.

أيلول

أيلولُ...
أنتَ العابرُ فوق صدري
تغلقُ نوافذ الطفولة خلفي
وتتركني أتنفّس غيابك في صمت
كطفلةٍ وحيدةٍ على حافةِ الغيم
كطفلةٍ لم تعد تعرف كيف تمسكُ يديها.

فيك...
تنهارُ الشمس على شعري
وتتساقط الذكريات كأوراقٍ صفراء
أشمُّ عبقَ الفقد في الهواء
وأعرف أنّ لا شيء هنا لي سوى هذا الألم الذي أحبّه.

أيلولُ...
علمتني كيف أكتبُ..
أسماء من رحلوا على جسدي
وكيف أزرع الحنين في عروقي
وكيف أصنع ابتسامةً ..
من رماد قلبٍ لم يعد يعرف الرحمة.

فيك تتكسّر الكلمات على شفتي
وتصبح الرسائل بلا عنوان
حتى البحر صار يغنّي وحده
والأمواجُ تحمل وجهي بعيداً عنّي
كما لو أنني لم أكن هنا يوماً.

أيلولُ...
أنتَ الحزن الذي أرتديه كل صباح
الليل الذي أحتمي به من قلقي
الغيم الذي يضمّ وجعي

والريح التي تسرق مني ما بقي من طفولةٍ ضائعة.

فيك...
تتفتّح الزهور على قبور الأمنيات
وتستفيق الطيور على بقايا البيت
والقمر يزورني خجولاً
يهمس: "ما زلتِ هنا..."
وأنا أجيب: نعم، ما زلتُ، رغم كل الفقد.

أيلولُ...
كل شيء فيك يموت قبل أن يولد:
الحب قبل أن يقال
البيت قبل أن يسكن
والحلم قبل أن يصل إلى يدي.
حتى الهواء يعبق برائحة الغياب
وكأنّك تعلمنا منذ البداية معنى الانتظار.

أيلولُ...
رغم الألم ..
أحبك كما تحب المرأة دموعها
كما تحب الغريبة وطنها
كما تحب الطفلة في داخلي أملها
وكما أحب كل ما رحل عنّي ولم أستطع لمسه بعد.

فيك...
أكتب على جدران الزمن وجهي
أزرع على الأرض دموعي
أنادي باسم من رحل
كي تبقى ألواني في صمتك
كي أشعر أنّ حياتي لم تذهب هدراً
وأنّي كنت هنا، حتى في غيابك.

أيلولُ...
أنتَ الحزن الذي أحمله بفخر

والجراح التي أزين بها صمتي
والليل الذي أرتمي فيه
والرحيل الذي أنتظره بلا خوف.

أيلولُ...
ابقَ معي...
فأنا هنا ..
أكتب شعري على ضجيجك
أستمع إلى صدى خطواتك في داخلي
أتعلم كيف أحب كل ما رحل
وكيف أحلم ..
بما لا يمكن أن يكون إلا فيك.

أنفاس الحبر

أنا ابنةُ الحبرِ ..
مولودةٌ من رحمِ القصيدة
أكتبُ كي أُقيمَ وزني في ميزان الغياب
وأغزل من أصابعي وشاحاً للمنفى
أدفنُ فيه خوفي وحزني
وأزرع في شقوقِ روحي بذور الرجوع.

أنا التي، كلما كتبتُ ..
انبثقتْ من كفّي امرأةٌ أخرى
تحملُ في قلبها نهراً
وفي عينيها صحراء
وفي خطاها جسراً معلقاً
بين حلمٍ ووطن.

يا قلمي..
يا رفيقي الوحيد في غربتي وأوجاعي
يا أنيسي حين يثقلني الحزن
أُحادثك كما تحادث الأرملةُ ظلَّها
وأنتَ تصغي كعاشقٍ يدركُ أن الغيابَ
ليس سوى طريقٍ إلى لقاءٍ أبدي.

أكتبُ...
فتفتحُ كلماتي نافذةً للريح
وتسكنُ دفاتري قرىً مهدومةٌ
تنهضُ كلما ناديتها بالاسم.
أكتبُ...
فتعودُ لي طفولتي
كطفلةٍ تلملمُ أصدافَ البحر
وتخبئها في جيبِ فستانها
كأنها كنزٌ لا يفنى.

أنا امرأةٌ
تحملُ في جسدها خريطةَ الغياب
وفي صدرها طبولٌ لا تهدأ
وفي فمها أغنيةٌ لم تكتمل.
أنا التي تمشي على حافةِ اللغة
لتعثر على ظلها في آخر القصيدة.

يا وحيَ الحبر ..
علّمني كيف أصوغُ من نزفي وطناً
وكيف أزرعُ في صحرائي سنبلة
وكيف أجعلُ من دمعي نهراً
يعرفُ دربَه إلى البحر.

أنا التي، إن كتبتُ
اشتعلَ الورقُ بنارٍ خفيّة
وتحولَ الحزنُ إلى عُرس
والغربةُ إلى بيتٍ من نوافذَ مفتوحة.
أنا التي تصرخُ باسمك
فتنهضُ من الرمادِ فراشاتٌ
وتفتحُ أبوابُ الغيابِ
على عودةٍ غير متوقعة.

أنا امرأةٌ تُحاورُ المنفى كحبيبٍ غادر
وتكتبُ للوطن كما تكتبُ لعاشقٍ بعيد
وتحملُ قلمها كطفلٍ وليد
لا تدري إن كان سيبقى حياً
أم سيغدو شهيدَ الكلمات.

يا قلمي ..
يا أنفاسي حين يخذلني الهواء
اكتبني كما تشاء
واجعلني لغةً تمشي على قدمين
واجعلني وطناً صغيراً

يعيشُ في سطرٍ واحد
لكن لا تتركني فراغاً.

فأنا أنثى الكتابة
أغزلُ من الليل عباءةً للقصيدة
وأحملُ على كتفي موتي
كأنني أحملُ غيمةً تمطرُ متى شاءت
وتنطفئُ متى كتبتُ سطراً جديداً.

حين أكتبك ينبت قلبي

بعيدٌ عنكَ...
تصيرُ حياتي فراغاً يشبهُ صحراءَ بلا واحة
وتصيرُ أنفاسي حطباً يشتعلُ في بردِ المنافي
وأصيرُ أنا...
امرأةً تُخبِّئُ انهيارها
خلف ابتسامةٍ عابرة
كغيمةٍ يتيمةٍ لا تعرفُ أين تمطر.

بعيدٌ عنكَ...
النهارُ يتيهُ في الطرقات
والقمرُ يتدلّى من سقف الغياب
كجثّةِ ضوءٍ معلَّقة.
وأنا امرأةٌ تسيرُ حافيةً فوق أشواكِ اللحظة
تحملُ حقيبةً من جراح
وتطاردُ طيفك الذي يعبرُ كعاصفةٍ
ولا يلتفت.

الشوقُ...
ليس كلمةً في معجمٍ قديم
هو سهمٌ ينامُ في صدري
ويصحو كلما ناديتكَ
هو نهرٌ جارفٌ يقتلعُ بيوتَ روحي
ويتركني أطوفُ في الطين كعصفورةٍ
كسرت جناحَها الرياح.

أكتبُ اسمك على صفحة الماء... فيتكسر
على رملِ الشاطئ... فيمحو البحرُ حروفي
على جدرانِ الليل... فيتدلّى كظلٍّ خائف
فأكتبه على قلبي...
فينزفُ ألفَ قصيدةٍ

ولا يشفى.

أنا امرأةٌ علمتها المنافي
أن تقيسَ الوقتَ بدموعها
وأن تزنَ الغيابَ بارتجاف أصابعها
وأن تكتبَ رسائلها على جناحِ الحنين
ثم تتركها للريح...
علّها تعثرُ عليكَ في جهةٍ مجهولة.

أيها البعيدُ القريب ..
لماذا جعلتَ قلبي ساحةً
تمرُّ عليها خيولك ثم تمضي؟
لماذا تركتني وحيدةً
أعدُّ أنفاسي كحباتِ قمحٍ ضائعة
وأتعلّمُ من الفقدِ
أبجديةَ الغياب؟

أنا لم أعُد أعرفُ نفسي
فكلُّ ما فيَّ صارَ أنت:
ملامحي التي صارت صورتك
دموعي التي تشبهُ يدَك الباردة
صوتي الذي ينكسرُ كلما ناداك
حتى الفراغُ في كفّي...
صارَ امتداداً لغيابك.

أنا لستُ امرأةً فقط
أنا ظلُّ قصيدةٍ لم تكتب
أنا صدى قُبلةٍ أُجهضت
أنا وشمُ انتظارٍ على جدارِ الأبدية
أنا أنثى تشبهُ مدينةً دُمّرت
لكنها ما زالت تضيءُ بمصابيحِها القديمة.

وحين تغيب...
يتحولُ العالمُ إلى مقبرةٍ من صمت

وتصيرُ الأزقةُ جراحاً مفتوحة
وتصيرُ الشرفاتُ أذرعاً ممدودةً للفراغ.
أنا امرأةٌ تخلعُ ضحكتها كالثوب
وتعلقها على مسمارِ الغياب
ثم تجلسُ في صقيع الذكرى
تدفئها جمرةُ صورتك.

أحببتكَ...
رغم أنّ الحبَّ صارَ جريمةً تُدانُ بها القلوب
ورغم أنّ الشوقَ أكبرُ من جسدي
وأوسعُ من حدودِ جغرافيتي.
أحببتكَ...
لأنك كنتَ الوطن الذي هربتُ به في حقيبتي
والأغنية التي خبأتها في صدري
والغيمةَ التي رافقتني في صحرائي.

لكنني الآن...
أكتبك كي لا أموت
أكتبك كي لا يصيرَ الليلُ قفراً
كي لا أتحولَ إلى رمادٍ من وهم.
أكتبك...
لأنك حين تذكر
يفتحُ في داخلي بابٌ على حديقةٍ
تزهرُ بالوجع
وتزهرُ بك.

فإن عدتَ...
سأزرعُ في كفّك سنابلَ عمري
وأُسقِط عن كتفي كلَّ أعباء الانتظار.
وإن لم تعُد...
سأظلُّ أكتبك
كأنني أكتبُ نفسي
وسأظلُّ أحبك...

كأنني أحبُّ الحياةَ نفسها
رغم أنها بعيدةٌ عنك...
عذاب.

يا حبيبي...
كيف استطاع الغيابُ أن يعلّمني
أن أُربّي وجعي كما يُربَّى طفلٌ في المنفى؟
كيف جعلني الليلُ أضعُ رأسي على حجرِ الوحدة
وأُصغي إلى بكاءِ روحي كأنها غريبةٌ في بيتها؟
أنا امرأةٌ تطفئُ قناديلها كلَّ مساء
ثم تشعلها الدموعُ من جديد
امرأةٌ تقفُ عند نافذةٍ بلا أفق
تلوّحُ لغيابٍ لا يلوّح
وتزرعُ في عتمتها ورداً
يعرفُ أنّه لن يراك.

أنا التي صارَ صدرها كتابَ فجيعة
كلُّ صفحةٍ فيه تحملُ اسمك
أنا التي لا تشفى منك
ولا تشفى بك
فكيف أعيشُ بين موتين:
موتُ غيابكَ...
وموتُ حضوري بلاك؟

طوفان القصيدة

أنا امرأةٌ
تحملُ في صدرها خرابَ المدن
وتحرسُ رمادَ البيوتِ التي ذابتْ
في مطرِ الغياب.
أنا التي لم تعلّمها الكتبُ
كيفَ يرمَّمُ قلبٌ تكسَّر
ولا كيفَ يزهرُ جدارٌ مبلَّلٌ
بدموعِ العابرين.

أكتبكَ...
كما تكتبُ النارُ رمادها
وأستيقظُ كلَّ صباحٍ
على سؤالٍ يتيمٍ:
هل يعقلُ أن يعيشَ العشقُ
في منفىً بلا نافذة؟
وهل يظلُّ الوردُ يفتّشُ عن ترابٍ
لا يملكه؟

يا بعيدي ..
أيُّ جرحٍ هذا الذي أودعتني فيه؟
أمشي بين الناسِ
ولا يراني أحد
أُصافحُ الوجوهَ
كأنني ظلٌّ في مرآة
أضحكُ كي لا أُفضح
وأبكي كي لا أُنسى.

طوفانُ القصيدةِ يجرُّني إليكَ:
أغرقُ في سطورٍ لا تنتهي
وأُجدِّفُ بمجازٍ

يشبهُ يدَكَ حين كانت تنقذني
لكنني أعودُ وحيدةً
أحملُ القلمَ كخشبةِ خلاص
ولا خلاص.

أسمعُ وقعَ خطواتِك
في دهاليزِ الليل
كأنك لم ترحل
كأنك تختبئُ في قلبي
لتمارسَ الغيابَ
بشكلٍ أعمق.
أنتَ لم تغادر جسدي
لكنَّكَ انسحبتَ من عروقي
كدمٍ توقَّف عن الجريان.

أيها المفقودُ من خارطتي
هل تدري أنني ما زلتُ أرتبُ الغرفة
كما تركتها؟
الكرسيُّ بجانب النافذة
كوبٌ نصفُ ممتلئٍ
يشربُ هواءً بارداً
وصورةٌ تتقشّرُ
مثلَ وجهٍ يشيخُ بالانتظار.

أيتها الريحُ ..
خبّريه أنني لم أتعافَ من غيابه
وأنني كلَّما حاولتُ أن أُرمّمَ نفسي
انهارَ جدارٌ آخرُ في روحي.
خبّريه أنني ألبسُ الوحدةَ
كما تلبسُ المدنُ حصارها
وأتغذّى على الصمت
وأرتشفُ مرارةً
تفوقُ مرارةَ قهوةٍ بلا سُكَّر.

طوفانُ القصيدةِ يعصفُ بي:
كلُّ كلمةٍ موجة
كلُّ سطرٍ إعصار
وأنا امرأةٌ تحاولُ أن تنجو
بذاكرةٍ مكسورة
وبأغنيةٍ
لم تكتمل.

يا حبيبي البعيد ..
أنا لم أكتبكَ لأنساكَ
بل لأعيدك حيّاً في كلماتي.
أكتبُكَ لأبني جسراً من صورٍ
وحين أعبرهُ
أجدُك تقفُ في آخره
تلوّحُ بيدٍ غابت
وتدعوني إلى موتٍ آخر.

أين أذهبُ بعدكَ؟
أيُّ منفى يتّسعُ لامرأةٍ
تحملُ نحيبَ القصائدِ في صدرها؟
أيُّ بحرٍ يحتملُ
هذا الطوفانَ من الحنين؟

أكتبُكَ الآن
لا لأنني أملكَ
بل لأنكَ تعاندُ الغياب
وتسكنُ في لغتي
كما يسكنُ المطرُ
في سريرِ الغيم.

وأعلمُ...
لن تنجو هذه القصيدةُ من غرقها
كما لم أنجُ أنا منك.

طوفان القلب

قرأتُ على صفحاتِ الريح
أجملَ قصائدِ قلبِك
وكانتِ الحروفُ تمشي حافيةً
بينَ جفوني ..
وتشعلُ في ليلِ وحدتي
قناديلَ من لهبٍ شفيف.

وعلى همساتِ الليل
قرأتُ لمساتَ عمرك
كانت أصابعك تمتدُّ من عتمةِ الغياب
كأنها موسيقى خفية
تسافرُ في جسدي
كما تسافرُ الطيورُ في أحلامِ الأطفال.

أيُّ حبيبٍ أنتَ؟
تركتَ لي حزنَ البحار
وزرعتَ في صدري
ملحاً لا يجفُّ
وغيماً لا ينقشع
وتركتني أقيسُ المسافةَ
بين دمعةٍ وتنهيدةٍ وأخرى
بزمنٍ لا ينتهي.

أنا المرأةُ التي علَّمَها الغيابُ
فنَّ الانتظار
فصارتْ تكتبُ على الزجاجِ الضبابي
اسمكَ
كما يكتبُ البحرُ وصيّتهُ
على جسدِ الصخور.

أنا التي تعلّمتْ

أن تصنعَ من الشوكِ
إكليلاً من ورد
ومن رمادِ الحرائق
قصيدةً لا تنطفئ.

كنتَ لي وطناً من احتمالات
لكنّك تركتني
على الحدودِ بين السؤالِ والخذلان
بين قبلةٍ لم تولد
ونَفَسٍ لم يكتمل.

أيها الغائبُ الحاضر
أراكَ في كلِّ نافذةٍ تفتحُ على الفجر
وفي كلِّ طريقٍ يفضي إلى الغروب
وفي كلِّ وجهِ مسافرٍ يحملُ حقيبةَ غيابك.

أراكَ حينَ يسقطُ المطرُ
على يديَّ
فأُدرك أنّكَ الموجةُ التي تبحثُ عن شاطئها
وأني الشاطئُ الذي يذوبُ بالانتظار.

أنتَ الذي علّمتني
أن أقرأَ الوجعَ
كما يقرأُ كتابُ العشق
وأن أُقسّمَ الحنينَ
إلى فصول:
فصلٍ للدموع ..
وفصلٍ للأغاني ..
وفصلٍ للخطواتِ التي ضلّت طريقها.

في غيابِك
أُعيدُ ترتيبَ أيامي:
أجعلُ من الصمتِ لغة
ومن الوحدةِ بيتاً

ومن ذكراكَ وطناً بلا خرائط.

أكتبُكَ على صفحاتِ الماء
وأخطُّ اسمكَ على ظلّي
وأغنّي لكَ في الليالي
كما تغنّي امرأةٌ للبحرِ
حينَ يخذلها الرجال.

أيها الحبيب ..
لو تعلمُ كم مرةً
كفّنتُ قلبي بثوبِ الأمل
وأقمتُ جنازةً للصبر
وبعثتُ من رمادِ الخيبات
طفلةً تشبهُ وجهَك
تضحكُ حينَ أناديك
وتبكي حينَ أصمت.

أنا المرأةُ التي تشبهُ نافذةً
على اتساعِ السماء
لكنها مغلقةٌ منذ رحيلكَ
تنتظرُ إصبعكَ
ليفتحها على الضوء.

أحببتُكَ كما لم تحبّني الأرضُ ولا السماء
أحببتُكَ كقصيدةٍ بلا قافية ..
كرحلةٍ بلا عودة ..
كصلاةٍ بلا معبد.

وأعرفُ أنّكَ لن تعود
لكنّي أُخادعُ الغياب
أعطيه وجهاً آخرَ لك
وأقولُ: سيعودُ بعد قليل
كما يعودُ الربيعُ من موتِ الشتاء.

أنا التي لم تُشفَ منكَ
ولم تُشفَ بكَ
أنا التي تحيا بين حدَّيْن:
سكينُ حضورِك
وسُمُّ غيابِك.

فخذني إليكَ حيثُ تنتهي الطرق
خذني إليكَ كما يأخذُ البحرُ
سرَّ النهر
وكما تأخذُ القصيدةُ
قلبَ شاعرها.

منتصف الموت

يا ليتَ الكلامَ ينجو منّي
لكنّي امرأةٌ بينَ مدٍّ وجزر
بينَ فمٍ يهوى الملامسةِ وفمٍ يهرب
بينَ طريقينِ لا يلتقيانِ سوى في قلبي —
فأهلاً بكَ في منتصفِ الموت.

١

عندما لا تستطيعين الاقترابَ
تصيرين مرآةً ترى من خلفِ شباكٍ مكسور.
كلُّ وجعٍ فيكِ يختبئُ تحتَ أظافرِ الليل
تَجمعين كلماتِكِ كحباتِ رزٍّ ممزّق
تزرعينها في جيوبِ الشتاءِ
كي لا يعرفها أحدٌ غيركِ.

أمشي على مِسافةِ نفسٍ لا يصل
أعدُّ خطواتي كما يعدُّ السجينُ أيامَهُ
أضع على رقبتي عقدَ أسماءٍ لم تقلها الشفاه
وأغلقُ البابَ بعينَيّ حين يلوذُ الطيفُ.
المسافةُ هنا ليست فراغاً فحسب
إنها وطنٌ تهدمُ فيه المدن.

٢

لا أستطيعُ الابتعادَ..
لأن كلَّ ما أبتعدُ عنهُ..
يتركُ على جسدي خريطةَ حضوره:
يسقط بريدهُ على صدري ..
مثلَ ورقةِ شجرٍ في خريفٍ متعب
تبقى على يديّ رائحةُ قهوةٍ لم تُشرب.
أحاولُ أن أختزلَهُ في صندوقٍ صغير
أغلقُهُ بإحكامٍ وأضعُ عليه طابعَ النسيان

لكنه يعودُ يطرقُ البابَ في الليلِ
يمسكُ بخيوطِ الجوعِ في رئتي
ويجعلُ مني نافذةً تهتزُّ في وجه الريح.

منتصفُ الموت:
ليس مكاناً، بل سؤالٌ بلا عنوان
هو أن تفقدي القدرةَ على أن تكوني ..
سفينةً ..
أو شاطئاً
فتصيرينَ رائحةً بين المدّ والجزر
تهجين الحبَّ في مختبرِ الصبر
حتى يتحول إلى شيءٍ باردٍ كزجاجٍ محطم.

٣

أبكي ولا تسمعين بكائي..
لأن البكاء هنا ..
لا صوتَ له سوى في جملةٍ تكتب على ظهرِ الغيم.
أخبرُ الأشياءَ الصغيرةَ أن تترك لي بعضَ الحنان
أشكو إلى وسادتي ..
أنّي سئمت انتظارَ مفتاحٍ لا يجيء
وأحلمُ بقميصٍ
يحمل رائحةَ ذراعيه كآخرِ عجلةٍ للنجاة.

هل تذكرين كيف كانتِ الأيامُ تمرّ؟
كأنها محطاتُ قطارٍ لا تتوقف إلا لتركنَ الحيرةُ.
كنتُ أُحِبُّهُ كمن يحبُّ كتاباً يقلبهُ ليلاً:
يعلم أنّ كلَّ صفحةٍ فيها جريمةٌ صغيرةٌ من الشوق.
الآن الصفحاتُ محروقةٌ قليلاً
والعملاتُ المعدنيةُ للذكرى لم تعد تفتح الأقفال.

٤

أحياناً أسامحُ نفسي:
أفعل كما تفعل الطيور

حين تصنع عشها من رمادِ رحيلٍ قديم
أجمع حكاياتٍ مهملةً..
وأعيد ترتيبها على رفِّ الصبر.
أُعطي للحبِّ مسافةً كي لا يخنقني
لكن المسافة تتحوّل إلى رياحٍ تزحف إلى الداخل
وتترك على قلبي ..
نملةً صغيرةً تعمل في النسيان.

أُصغِي إلى صمتٍ كثيف
إلى صمتٍ كأرضٍ لا تمطر.
أقيس فيه طولَ ضلوعي
أرى في الظلِّ قطعَ حنينٍ لم تجمَع
كل قطعة تقول لي:
لا تبكي..
لا تُقارب..
ولا تبتعد
كن مجرد وسط..
هكذا تصبح الحياة لعبةً مميتةً من التكرار.

٥

وأقول له في سرّي:
لو كان لي قلبان لصرتُ لك بيتين
واحداً للمباحثة، والآخر للفرار
لكنّي لا أملك إلا غرفةً واحدة
وفيها نافذة تطل على البحر
والبحر لا يعترف بالأسماء
يعرف فقط موجاً يدقُّ بابه كل منتصف الليل.

فأهلاً بك في منتصف الموت:
تعال..
إن أردت أن تشاهد امرأةً تُلقى في حوض الحيرة
تعال..
إن أردت أن ترى صفحةً من تاريخٍ لا تُقرأ إلا بالغياب

هنا الحبُّ لا يموت ولا يعيش
يتدلّق كعطرٍ منتهي الصلاحية
ويظل كل شيء على حافة السؤال.

٦

وإليك يا ليل:
علّمني كيف أحتمل أن أكون بين وَهْمٍ وحقيقة
علّمني كيف أحمل داخلي قبائلَ من الندم والرجاء
علّمني أن أُدرّب قلبي على المشي في حلقات
كما يمشي النمل حول بركةٍ جافة.

وأرجع إلى نفسي..
فأجدني امرأةً لا تملك سوى اسمٍ وماض
وخطّ على وجه الزمن لم يُمحَ بعد.
أغزل منه ثوب الانتظار
ألبسه عندما أخرج إلى الشوارع
فيراه الناس كعادة غريبة أو صلاة قديمة.

٧

النهاية المؤقتة
في هذا المكان..
بين النسيان..
والذكرى..
أنت لا تموتين، ولا تولدين
أنت معلّقة كلوحة بلا إطار
كقنديل بلا نار
هنا تنتهي القصائد قبل أن تبدأ
وهنا يبدأ الصمت بالبكاء.

فهل تريد أن تدخل؟
هل تريد أن تقضي ليلتين في منتصف الموت؟
تعال..
لكن خذ معك شيئاً صغيراً:

ابتسامةً قديمة..
مفتاح جارٍ لم يعد يفتح
وبطاقة هوية..
تقول إنك إنسان يحب
لكنه لا يملك مكان الإقامة.

أهلاً بك في منتصف الموت.
اجلسي أو اجلس..
واحتسِ الأمل كقهوةٍ باردة
فالقوافي هنا لا تُسرد بل تختبر
والنساء هناك يعلمن
أن الحب أحياناً يكون خبزاً جامداً
ونتوخّى منه البقاء.

خرائط العشق

يا رجلٌ أودعتهُ نفسي ..
وخبأتُهُ بين أهدابي ..
كآيةٍ لا تُتلى إلا على حوافِّ الليلِ
يا مَنْ خرجتَ من صدري
كما يخرجُ الينبوعُ من صخرتِهِ
وارتديتَ ملامحي حتى لم أَعدْ أعرِفُ مَن أَنا:
هل أنا امرأةٌ تُفتِّشُ عن ظلّها
أم ظلُّكَ الذي كَبُرَ في داخلي حتى صارَ لي وطناً؟

كلُّ الطرقِ تؤدِّي إليكَ...
حتى الطرقُ التي ضلَّتْ في صحراءِ الغيابِ
والجسورُ التي انهارت على أعناقِ النسيانِ
والأبوابُ التي أُقفِلَت بوجهي
تعودُ فتفتح حين أذكرُ صوتكَ؛
فأمشي إليها كما يمشي العِطرُ إلى وردتِهِ.

أنا التي تعلَّمتِ القراءةَ في أبجديةِ عينيك
وصرتُ أكتبُ القصائدَ على رجفةِ يديكَ
أنا التي ما ارتوتْ من قبلةٍ ناقصةٍ
ولا من وعدٍ مكسورٍ
لكنِّي ارتويتُ مِنكَ كالغيمِ حين يعانِقُ بحراً
وكالليلِ حين يسندُ رأسهُ على كتفِ قمرٍ.

كلُّ الطرقِ تُؤدِّي إليكَ...
فأينما وجِدَ الحزنُ أجدكَ
تسندُ وجهي كي لا أسقطَ في فَخِّ الدموعِ
وحيثما تهاجرُ الطيورُ
أسمعُ جناحيكَ يلوِّحانِ لي: لا تخافي—
فالسماءُ لكِ، وأنا ظلُّكِ المأهولُ بالأمانِ.

يا رجلاً علَّمني أنَّ الحبَّ صلاةٌ

وأنَّ قبلةً واحدةً تكفي لأن تقيم عمراً
يا مَنْ زرعْتُ على صدرِهِ مدينتِي
وبنيتُ بين ضلوعهِ نوافذي
أنتَ الأرضُ حين تتيهُ خطاي
وأنتَ الطريقُ حين تضيعُ البلادُ.

أنا التي خرجتْ من حربٍ طويلةٍ
من رمادٍ ..
من موتٍ ..
من أرصفةٍ باردةٍ—
لكنِّي ما إنْ وضعتُ رأسِي على كتفِكَ
حتى عرفتُ أنّ السلامَ ليس معاهدةً
بل هو حضنٌ يشبهك.

كلُّ الطرقِ تُؤدِّي إليكَ...
حتى تلك التي تبدأُ من دمعتِي
وتنتهي عند ابتسامتِكَ
حتى الطُّرُقُ التي حفرتها الوحشةُ على وجهي
تصيرُ أنهاراً من نورٍ حين تلمسها يداكَ.

أُخبِّئُكَ في كفي كعصفورٍ صغيرٍ
وأخشى عليكَ من ريحٍ عابرةٍ
ومن كلمةٍ عابرةٍ
ومن امرأةٍ عابرةٍ—
فأشدكَ إليَّ كما يشدُّ الجذرُ ترابَهُ
وأهمِسُ لكَ: ابقَ
فإنْ غِبتَ ثانيةً... غِبْتُ أنا.

يا مَنْ تكلَّمَ باسمه القصائدُ
واستحى البحرُ أن يشبهَ عُمقَهُ
يا مَنْ كلما ناديتهُ أجابني بصوتِ الحياةِ
وكلَّما ابتعدَ تركَ في قلبي موسيقى نارٍ
اعلَمْ أنَّني امرأةٌ بلاكَ

كسماءِ بلا نجومٍ
كأرضٍ بلا مطرٍ
كقصيدةٍ بلا حُلْمٍ.

كلُّ الطُّرُقِ تُؤدِّي إليكَ...
حتى وأنا أمشي بعيداً
حتى وأنا أقسِمُ أنّي نَسيتُ
حتى وأنا أُعلِنُ استقلالي عنكَ
أجدُ قلبي ينكسرُ مثل كأسٍ على صخرةٍ
ثم يعودُ ليلمَّ شظاياها
ليكتبَ من جديدٍ:
"أنتَ البِدايةُ، وأنتَ النِّهايةُ."

تعالَ ..
فكلُّ الطُّرُقِ تُؤدِّي إليكَ؛
وهنا، عند مفترقِ الصمتِ..
أضعُ قلبي على ركبةِ الطريقِ
أفتحهُ ككتابٍ أريدكَ أن تقرأَهُ وتبتسِمَ
فلا يموتُ شيءٌ بيننا:
لا الفرحُ ..
ولا الحزنُ ..
ولا الزمانُ—
بل نبقى نحنُ، نستحيلُ طريقاً ونعبرها
نحنُ التي عرفت الطريقَ ورسمتهُ
بأصابعٍ تخشى النورَ لئلّا يكسِرَها.

سأظلُّ أكتبُ..
اسمكَ على كلِّ ورقةِ شجرٍ
على كلِّ نافذةٍ..
وعلى كلِّ فَمٍ يهمسُ بالخلاصِ—
لأنّ كلَّ الطُّرُقِ، مهما تفرَّقت، تُؤدِّي إليكَ.

حين يتكلّم الصمت

أنا المرأةُ التي تنامُ على كتفِ البحرِ
وتصحو إذا صاحَ المَوْجُ في دمِها
أنا التي تحملُ في أهدابِها ملحَ الغيابِ
وفي يديها رائحةُ أزمنةٍ لم تأتِ بعدُ.

ولدتُ من عطرِ أمٍّ أضاعَتها الريحُ
ومن أبٍ كان وجهُه خريطةَ منفىً
ومن طفولةٍ شَبَهَتْ بقفصِ عصفورٍ مكسورٍ
يحاولُ أن يغنّي
فتتساقطُ الأغنيةُ من بين جناحيهِ كحباتِ مطرٍ.

أنا امرأةٌ لا تخجلُ من دموعِها
ولا تستحي من جرحِها
فخلقتُ لأحملَ في صدري تاريخَ الأنينِ والرجاءِ
ولأكتبَ فوق جدارِ الغيمِ اسمَ مَن خانَني
واسمَ مَن علَّمَني
أنَّ الوردَ لا ينبتُ إلا على شرفاتِ الوجعِ.

يا حبيبي البعيدُ ..
كنتَ تظنُّني أضعفَ من أن أقفَ
لكنّي وقفتُ...
على رُكامِ قلبي
على بقايا ظلكَ
على رمادِ الرسائلِ التي لم أُرسلْها
وقلتُ لنفسي:
أنا امرأةٌ لا يُطفئها الغيابُ
بل يزيدُها اشتعالاً.

أنا امرأةٌ تصادِقُ المرآةَ
لكنّها تخانِي كلَّ صباحٍ
ففي المرآةِ أرى وجهاً لا يشبهُني

وعينينِ أرهَقَتهُما الليالُ
وشفتينِ لا تقولانِ إلا:
«انتظريني... انتظريني»
كأنّي أعيشُ في طابورٍ طويلٍ من الوعودِ.

لو رسمَتْني الريحُ لرسَمتْني موجةً
ولو كتبتْني النارُ لخطّتْني جمرةً
ولو غنّتْني الأرضُ لغنّتْني طيورٌ مهاجرةٌ
تغادرُ وتعودُ فلا تعودُ.

أيُّها الغائبُ بلغاتٍ لا أعرفها
لم أَعُدْ تلك الطفلةَ التي تفتحُ يديها للسماءِ
كي تجمعَ المطرَ
صِرتُ أعرفُ أنَّ السماءَ لا تعطي
إلا لمن يجرؤُ على الصعودِ
وأنّ الحبَّ لا يكفيه قلبٌ واحدٌ
بل يحتاجُ إلى وطنينِ على الأقلِّ.

أنا امرأةٌ لا تبحثُ عن بطلٍ
بل عن رفيقِ سفرٍ
لا أريدُ سيفاً يحرسُني
بل أريدُ يداً تصافحُني حينَ أتعثّرُ
ولا أريدُ قصراً من وهمٍ
بل بيتاً صغيراً تفتحُ أبوابهُ على البحرِ.

خذلْتُ بما يكفي
لكني ما زلتُ أزرعُ على نافذتي أغنيةً جديدةً
وما زلتُ أعلّقُ على جدارِ قلبي
صورةً لرجلٍ لم يأتِ بعدُ
رجلٍ يعرفُ أنني لستُ نصفاً مكسوراً
بل كيانٌ كاملٌ
يحتاجُ فقط من يفهمُ لغتَهُ.

أنا امرأةٌ تحلمُ أن تمشيَ على الماءِ

وتحلمُ أن تُقبّلَ وجهَ القمرِ
وتحلمُ أن تكتبَ قصيدتها الأخيرةَ في دفترٍ من نورٍ
لكنّها تستيقظُ كلَّ يومٍ
لتغسلَ أوهامَها بملحِ الدموعِ.

ورغمَ ذلك...
أبقى أبتسمُ
لأني أعلمُ أن الحياةَ لا تهبُنا دائماً ما نريدُ
لكنهَا تعطينا دائماً فرصةً
لنكتبَ ما لم يكتبْ.

على رصيف الانتظار

أنا امرأةٌ تحترفُ الانتظار
أجلسُ على كرسيّ الوقتِ
كأنني تمثالٌ من قلقٍ
أعدُّ ثواني الغيابِ
كما تُعدّ الأرملةُ دموعَها
وأصغي إلى صمتٍ أثقلَ من الحديدِ.

أنا امرأةٌ تعيشُ على أطراف اللحظة
تغزلُ من صمتها ثياباً للغيم
وتزرعُ في كل زاوية من قلبها نافذةً
تنتظرُ منها سقوطَ ضوءك.

أجلسُ على رصيفِ الزمنِ
كطفلةٍ تتعلّم المشي
أحصي خطوات الغياب
كما تُعدّ الأرضُ سنابلها
وأراقبُ الريحَ ..
وهي تسرقُ من نوافذي أصواتك
كأنها تريدُ أن تخبرني أنك هنا
بين خفقان قلبي وأهداب الليل.

أعرفُ أن لكل الانتظارات أبوابٌ سرّية
بعضها يطلّ على البحر
وبعضها يختبئ في ظلّك
وبعضها يُفضي إلى هاويةٍ لا يعرفها إلا القلب
وأنا أمشي بين هذه الأبواب
كمن يحملُ جسدَه وروحه على راحة يده.

أحملك معي في كل تفاصيل حياتي
أحتفظ بك في جيوب الليل
أضعك على وسادة الأمل

وأقرأك كما تُقرأ الكتبُ التي لم تكتب بعد
كأنك قصيدةٌ تنتظر أن أحفظها على شفتي.

الانتظارُ يعلّمني أن أزرعَ ضوءاً في عتمتي
وأن أصنع من خيالاتي نهراً لا يجفّ
أن أتعلمَ لغة الغيوم
وأحاورها عنك بلا نهاية
كما لو أننا وحدنا من يعرف معنى الصبر.

أنا امرأةٌ تحبُّ المواعيد المؤجلة
أرتدي صبرها كسُترٍ يقي قلبي من البرد
وأخفي بين أصابعي فتاتَ الأمل
كأنني متسوّلةٌ عند أبواب الغياب
أطلب القليل من حضورك
أو حتّى صورةً منك تسكن في خيالي.

ألمحك في انعكاس الماء
أسمع ضحكتك تنساب من بين أصابعي
أرى ظلّك يركض فوق حافة الفجر
أمدُّ يدي... فينكسرُ كمرآةٍ مهشّمة
لكن قلبي يضحك رغم كل شيء
ويصمدُ كما تصمد الشجرة في مواجهة العاصفة.

أنا امرأةٌ لا تموتُ بالوحدة
بل تتغذّى على وهج الغياب الجميل
وأصدّقُ أنّ الانتظار ليس موتاً
بل تمرينٌ على الحياة
تمرّين على الحب
تمرّين على معنى الصبر والحنين.

كتبتُ اسمك على صدر الريح
نقشته الشمس على جبيني
وحملته كجرحٍ رقيق
أرسمه على وجه الغيم

وأصرخ للعالم:
«هنا، بين قلبي وغيابك،
هنا مسكني، وهنا فنائي».

وعندما يطول الليل
أجلسُ مع ظلّي وأرشقه بفنجان تعب
نسأل بعضنا عنك
ويصمتُ كالصمت الذي يلفّ كل شيء
حين يعجز عن الإجابة.

أنا امرأةٌ على أرصفة الغياب
أعرف أنّ القطار قد لا يأتي
لكنّي ألوّحُ بمنديلٍ أبيض
كما لو كنتُ أستقبل حبّاً لم يولد بعد
أو أستقبل نفسي من جديد.

الانتظارُ يا حبيبي
ليس سجناً
بل هو وطنٌ أبني فيه قلبي
وأصنع من وحدتي مملكةً لا يعرفها أحد
وعندما يأتي صباحك...
ستجدينني كما أنا:
امرأةً تحمل البحر في عينيها
والصبر في راحتيها
وقصيدةً لم تكتمل بعد.

عباءة الريح

أنا والليل والهموم تعرفني ..
والظل الذي يتلوى في صمت الغرف
والغياب الذي يسرق وجهي من المرآة
أنا والحزن الذي يسكن بين أصابعي
ويخط على جسدي خريطة الألم.

عباءة الريح تغطي أملي ..
لكنها لا تخفي أنيني
ولا تكتم بكاء قلبي على المدن التي لم أزرها
ولا الأحلام التي ضاعت في طرقات الغياب
ولا الأصابع التي لم تلمس سوى الهواء البارد.

أسمع الريح تتحدث باسمي
أسمعها تردد أسماء أحبائي الذين رحلوا
أسمعها تصرخ ..
كما أصيح في الغرف الخاوية
أجدها تحمل دموعي
وتتركها على شواطئ الليل
فتصبح كل نقطة بحراً ..
وكل بحر صمتاً ..
وكل صمت يتلوى بين الضلوع.

أنا والريح والظلام أصدقاء
أنا والهمس والغياب أصدقاء
أنا والنحيب والألم أصدقاء
وأعرف أن عباءتي، عباءة الريح
تحمل كل قصصي
قصص امرأةٍ لا تعرف مكانها بين البشر والسماء.

أمشي على الرصيف، أبحث عن صوتك
أبحث عن ظلٍّ يذكرني بالحب

أجد فقط صدى قدميّ على الحجر
وأسماء الأشجار المائلة تتحدث عني
وعليّ أن أتعلم أن أمسك بالهواء
كما أمسك بيدٍ لم تعد هنا.

في ليلي الطويل ..
أفتح نافذة الصمت
أستمع للريح ..
وهي تحكي حكايات النسيان
عن المدن المدمرة ..
عن الأطفال الذين لم يولدوا بعد
عن النساء اللواتي حملن كل الحزن بصمت
عن الحب الذي لم يُسمَع إلا في الخيال.

عباءتي تموج مع الريح ..
تغطي جسدي وتكشف قلبي
تحمل كل الصرخات ..
التي لم أجرؤ على قولها
تحمل كل الدموع ..
التي تدفقت على وجهي في الخفاء
وتحمل كل حروفي ..
التي كتبت على جدران الغياب.

أنا والحزن والنحيب ..
أنا والألم الصامت ..
أنا والغياب الذي أصبح دمي ..
أنا والريح التي تعلمت كيف تكون صديقتي
أنا والليل الذي لا ينام
أنا والمدينة التي تحمل اسمي على أبوابها المغلقة.

عندما تشتد الريح ..
أمسك بعباءتي كما لو كانت آخر حلم
أحتضنها كما أحتضن قلبي الممزق

أغني للغيم ..
وأبكي على البحر ..
وأعرف أنني ..
مهما ابتعدت عن العالم
أنا الريح التي لا تهدأ
وأنا المرأة التي تعرف كيف تجعل الألم شاعراً
وكيف تجعل الغياب وطناً للحب.

وهج الأمل

ليتني نسمةً تتسلل بين الصخور
تغفو على ظهر البحر
وتقرأ أسرار الغيم دون أن تُسأل
تلمس وجه الأرض بخفة
وتترك أثراً رقيقاً على قلب من أحببت.

ليتني حجراً على حافة العالم
لا أئن ولا أصرخ
أحتفظ بكل دمعة لم يُسمع صوتها
وأعرف أن صمت الريح أصدق من كل الكلام
وأني أستطيع أن أحمل في صدري عاصفةً لم تولد بعد.

ليتني ظلّاً يتلوّى بين الأشجار
يقرأ ضحكات الأطفال المفقودين
ويراقب المدن التي تنام قبل أن تحلم
يحمل كل العصافير التي هجرت النوافذ
ويحتضن صمتاً يبتلع كل الكلمات
لكنه صمتٌ لا يقتل، بل يروي الروح.

أحلم بأن أكون بحراً...
وطوفاناً...
وعاصفة الريح...
أغني لنفسي وحدي
أنساب على الشاطئ بصوت خافت
أسأل الغيم عن سبب الرحيل
وأضحك للأمواج التي لا تعرف العودة.

ليتني نجمةً صغيرة
تختبئ في الليل عن كل العيون
وتحمل شعاع الشمس في قلبها
تكتب رسائل للحب لم تصل بعد

وتعلم أن الحرية ليست في الفضاء
بل في أن نحمل النور داخلنا، رغم العتمة.

لكنّي لست حجراً...
ولا ظلاً...
ولا بحراً...
بل أنا إنسانة تخترق الصمت
وتحمل الريح في داخلي
وتنساب بين الأمواج كما لو أني طيف لا يُرى
أرنو إلى كل ما لم يكتب بعد
وأحمل في قلبي وهج الأمل الذي لا ينطفئ.
وأمامي العالم يركض بلا توقّف
والأيام تتساقط على كتفي كخيوط المطر
وأحاول أن أتنفس
لكن الهواء يثقل جسدي كما لو كان صخرةً قديمة
وأحاول أن أتحرك
لكن الزمن يضغط عليّ كجدارٍ لا يُنهدم.

ليتني حجرٌ...
لكنّي أكثر من صمت ..
أكثر من انتظار ..
أكثر من نوافذٍ تنتظر المارّين بلا جواب
أحمل في داخلي بحراً من الأسئلة
وصدىً لكل الحكايات التي لم تُروَ بعد
وألواناً لم يكتب لها الضوء
وأحلاماً لم تولد
وأغنياتٍ لم تسمعها الأذن
وأياماً لم يعرفها التاريخ.

ليتني حجرٌ...
لكنّي امرأة
يحسدني الحجر على شعوري
والأيام تحسدني على انتظاري

والكون كله يراقبني من بعيد
وأقف صامتة
أحتضن كل ما مررت به
وأحمل في قلبي كل الذكريات غير المروية
وأحلم بكل ما سيأتي من نورٍ وظلال
وكأن الزمن ينساب عبرّي دون أن يمسّني.
وأسمح للزمن أن يمرّ من خلالي
كأنه شلالٌ بلا نهاية
وحيث كل شيء ممكن
حتى للبكاء أن يكون حرّاً.

ليتني حجرٌ ..
لكنّي أحمل في قلبي ناراً صغيرة
تصرّ على البقاء
تسأل عن سبب كل رحيل
وتبكي على كل الأشياء التي لم تكتب
وتضحك على كل الحكايات التي لم تولد
وتغني وحدها على شرفة الريح
وتعلمني أن الحرية ليست في الصمت
بل في أن نحتفظ بالضوء رغم الظلام
وأن نكون نحن
حتى لو كنا مجرد ظلٍّ على صخرةٍ بعيدة
حتى لو كنا مجرد حلمٍ يمشي بين الأمواج والغيوم
حتى لو كنا... نحن فقط.

قناديل الملح

أنا ابنةُ الموج ..
ولدتني صرخةُ البحر حين انكسر
وغسلتني الغيومُ بدموعها الأولى
فصرتُ عروساً من ملحٍ
تحرس الغيابَ بقناديلَ مضاءةٍ بالوجع.

أنا التي أُودِعَت في كفِّها مفاتيحُ الريح
فصارت إذا مشت
تفتّح الطريقَ بالندى
وإذا وقفت
ارتجف الليلُ كطفلٍ يبحث عن صدرٍ.

في قلبي نوافذُ بحرٍ لا تُغلق
كلما حاولت أن أُطفئَ ملوحتَهُ
أشعلتني الموجةُ مثل قنديلٍ يتيم
وفي دمي أغنيةٌ مكسورة
تبحث عن وترٍ
يعيد إليها أنفاسَ الحياة.

أيها الغريبُ الساكنُ في اسمي
أما ترى أنني امرأةٌ من ظلالٍ وملح؟
كلما ناديتكَ
تفتّت جسدي إلى نجومٍ
وكلما صمتَّ
أحرقتني المسافةُ بنارٍ لا تُرى.

أنا المسافرةُ في جسدِ المنفى
أحمل حقيبتي فارغةً إلا من وجهي
وأضع على كتفي وطناً
معلّقاً بخيطٍ من شمس
وأكتب على الرمل:

"لا بيتَ إلا هذا البحر،
ولا وطنَ إلا حنينٌ يُضيء بالملح".

قناديلُ الملح تتدلّى من أهدابي
تضيء لليل طرقاً من سراب
وتترك للنهار وجهاً مبتلاً
بقبلاتٍ لم تكتمل.

أيتها الأرض ..
كم خبأتني في رحمكِ كسراً؟
كم حملتني بين ذراعيك
ثم سلمتني للغيوم؟
أنا التي كتبت على صدرك
قصائدَ لم يقرأها أحد
وغنّيت للموت حتى غفوت
في حجر الحياة.

أيها الحبيب ..
خذني إليك كما يأخذ البحر شراعَه
خذني إليك كما تأخذ النار رمادَها
خذني إليك كما يأخذ الغياب أسماءَنا
ويزرعها في حقول الأبدية.

أنا امرأةٌ من قناديل وملح
أشعلني البحر فانطفأت
ثم أشعلني الغياب
فصرتُ قصيدةً
لا تكتب إلا بدمعٍ وأفق.

موعد الرحيل

في الموعد الأخير مع قلبي
تركتُ له رسالةً بلا توقيعٍ—
كأنَّ الليلَ ألقى بي على رصيفٍ من ورقٍ
والبحرُ يراجعُ هويّته ..
كل صباحٍ بأسماءٍ جديدةٍ.

لم يبقَ لي خيارٌ سوى الرحيلِ
بينَ صفحتي والسطور...
بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنِينُ الْأَلَمِ
كأنّي طائرٌ قسّمَه الحزنُ إلى جناحين:
جناحٌ يبكي على مأوى قدامَه...
وجناحٌ يهربُ إلى نارٍ لا اسمَ لها.

الرحيلُ ليسْ بالمرِّ يسيرٍ
بل قبرٌ صغيرٌ نحمله على أكتافنا؛
تركته حين قررتُ أن أرتدي
من كرامتي حولَ قلبي عباءةً جديدةً
أبلغت الريحَ أنني ذاهبةٌ ..
لا أريدُ أن أعودَ مفتقدةً
أريدُ أن أعودَ أنا ..
أو ألا أعودَ إطلاقاً.

أحتضنُ جرحَ الزمانِ
كما يحتضن الربيعُ دمه
أمسحُ على جبينِ الذكرى بسكينِ أملٍ
وأسافرُ وسط هبوبِ الريحِ
— في صقيعِ الأمطارِ —
كمن يمرُّ عبرَ مرآةٍ ..
ليكتشفَ وجهَه في نهايةِ الطريق.

أتركُ حبّك؛

أخلعُ عن روحي لباسَ العشقِ ..
كما ينزعُ الفتى قفازَه بعد معركةٍ طويلة
لا أستطيعُ أن أمسكَ بكَ
والهواءُ بيننا يحملُ رسائلَ الغيابِ
وأمشي وحدي فوقَ أشواكِ الألمِ
— هذه مشيئةُ القلبِ ..
وأنا أمشي لا أعلمُ إلى أين يأخذني هذا المشوار
ربما إلى مدينةٍ لا تُعرفُ فيها أسماؤنا بعدُ
وربما إلى بيتٍ صغيرٍ ..
تُعيدُ فيه السنونو بناءَ عُشِّها.

هجرتُ بعضَ أحبّتي طوعاً
لأنّي رأيتُ قلوبَهم تميلُ إلى فراقي؛
لم أردُ أن أكونَ شَرطةَ حزنٍ في دفترِ أحدٍ.
نعم أشتاقُ
— والاشتياقُ عندي إناءٌ شفافٌ —
وضعتُ كرامتي فوقَ اشتياقي
كاللوحِ الأخضرِ على بابِ البيتِ يمنعُ البرد.

إذا جلستَ يوماً وحيداً ..
فاجمع حولك ظلالَ أيامٍ جميلةٍ عشتها؛
لا توقِفِ الظلَّ عند بابِ اللومِ
ولا تسمحْ للألمِ أن يعلّمكَ كيف تنسى الضياء
اجمعِ الكلماتِ التي قالها من أحببتَ
كما يجمعُ الفلاحُ حباتِ القمحِ ليقينٍ
وانسَ وجعَ الفِراشِ ..
في الليالي التي أنهكها الشوقُ
ودفترُكَ ...
فليست كلُّ الرحيل موتاً؛ بعضُه ولادة.

أنا امرأةٌ صنعتُ من العتمة أقماراً صغيرةً
ومن قميصِ الصباح نسيتُ رائحةَ يديك
لا أحبُّ أن أكتبَ عنك ..

كأنّي سجلُّ محاماةٍ يسرد قضايا الغياب
أريدُ أن أسجّلَ حبّاً ..
يبقي على بقايا الزيتون في فمي
أريدُ أن أكون قصيدةً
لا تعودُ إلا بعد أن تكملَ العالمَ أبياته.

أقولُ للزمنِ: كفَّ عن السؤالِ عنّي
لقد سافرتُ بين ثنايا صمتٍ طويلٍ
حتى صار لديّ شهاداتُ وحشةٍ
أقولُ للرحيلِ:
لا تخلطني بالهزيمةِ ..
فإني لا أغادرُ إلا لأنّي أعرفُ نقاطي وقوتي
وأقولُ للحبِّ:
هذا جسدي آخرُ أمراضه
أن يتحوّل إلى أسطورةٍ في مكتبةِ الغياب.

وفي منتصفِ الطريقِ ..
التقيتُ مرآةً لم أتعرّفْ عليها
ابتسمتْ وكأنها تقول:
إنكِ لستِ هاربةً ..
بل أنتِ على موعدٍ مع بدايةٍ أخرى
كنتُ أخافُ أن أنسى اسمي
كما أنسى مفاتيحَ البيتِ في جيبٍ قديمٍ
فقلتُ لها:
علّميه الحروف من جديد
علّميه كيف يكتبُ اسمهُ على الجدار.

وغداً، إن جاء الصباحُ بوجهٍ مختلفٍ
سأطوي صفحاتٍ كثيرةٍ منّي
وأتركها على عتبةِ ذاتي
لا كإدانةٍ ولا كندبةٍ ..
بل كحكاياتٍ قصيرةٍ ..
تعلّمُ الأصابعَ كيف تعمل من جديد

سأسيرُ وحيدةً
لكنّني لستُ وحيدةً كمن فقدَ الدنيا
بل كمن يحملُ في حقيبته وردةً للغد
وسأخبرُ القمرَ
أنّه منحنا مهلةً لنحبَّ بعضَنا على نحوٍ أوسعَ.

أما أنتَ ..
فاحفظْ في جيبك كلمةَ وداعٍ بلا دموعٍ
دَعها ورقةً صغيرةً تصِلُ حين لا أكونُ هناكَ
لا تعِدني بما لن تفعلَه ...
فالوعودُ أثوابٌ ..
لا تناسبنا بعد اندلاعِ الحرب
واصغِ إلى قلبي ..
إذ يقولُ بصوتٍ لا يكذب:
كرامتي قد نُقِشت في قبورٍ لم تولد بعد.

هكذا أمشي:
أجرُّ معي خيطَ الضوءِ الذي لم يُبتل بعدُ بالمطر
أحملُ اسمَ وطنٍ لم أعرفه بعدُ
وأحملُ خيطَ شعرٍ منك بقصيدةٍ لم تُكتب بعد
أضع في حقيبتي دفترين:
دفترٌ للكلماتِ التي تشبه الخبزَ ..
ودفترٌ للصمتِ الذي يشبه المطر
وأعدك — يا قلبُ —
أنّي لا أعودُ إلا مكتملةً
أو أختفي كالسحابِ الذي لم يترك إلا ظِلَّه.

وإذا أمسَيتَ تبحثُ عني
بين الأنفاسِ والأغنياتِ ..
فاعلمْ أني لم أمُتْ
بل انشغلتُ بتعليمِ قلبي
كيف يقرأُ الخرائطَ الجديدة
كيف يزرعُ بذورَ صباحٍ يليقُ بمن تركته

وكيف يلبسُ ثوبَ السلامِ بعد طولِ الحرب.

لا أطلبُ منكَ إلا شيئاً واحداً:
ألا تنكرَ عليّ صراخي ..
ولا تقسّمَ عليّ الليلَ إلى مقاطعاتٍ لا تنتهي
دعْ لي المسافةَ ..
دعْ لي غيابَ الأرضِ حين أرنو إليها
فأنا الرحيلُ الذي يختار أزهارَه بعنايةٍ
لستُ الرحيلَ الذي تُجبرهُ الأقدار.

وهكذا ...
بين الأوراقِ والسطورِ ...
بين النفسِ والذكرى
أغلقُ بابي بلطفٍ
وأتركُ خلفي طيفَكَ — ليسَ كحزنٍ —
بل كحكايةٍ تصبحُ لي صباحاً.

تراتيل أنثى على ضفاف الفراق

بعد الفراق...
كسرتُ آلامي في فمِ الرحيل
وأغلقتُ أبوابَ الحنينِ ...
كي لا تتساقطَ من يدي أمنياتٌ ذابلة.
لم أجعلِ الحزنَ ثوباً أرتديه
بل غيمةً تُثقلُ سماءَ أيامي.
بعد الفراق ...
تعلّمتُ أنَّ للوجعِ أجنحةً خفيّة
تحملُ القلبَ إلى هاويةٍ لا قرارَ لها.
وتعلّمتُ أنَّ الغيابَ ليس موتاً ..
بل حياةً أخرى
تُربّي فينا صمتاً أطولَ من أعمارنا.

بعد الفراقِ بلاغٌ لا سؤالَ لهُ
لا تنتظري القمرَ ليشهدَ على وجعكِ
فالقمرُ يعلّمُ الخيبةَ كيف يغيّبُ وجهَهُ
يعودُ كلَّ ليلةٍ بوجه آخرَ
كأنّما يلبسُ أسماءَ العشّاقِ ..
كي لا يتذكرَ أحدٌ دموعَهم.

ولا تنادِي البحرَ
فالبحرُ مرآةٌ لا تحفظ صورةَ الغائبين
يعيدُ الأمواجَ إلى ذاتِها بلا شفقةٍ
كلُّ موجةٍ تقرأُ في كفيكِ رسالةً قديمةً
وكلُّ تَلاطمٍ يعلّمُكِ أنّ الذاكرةَ زَبَدٌ يذوبُ مع الملحِ.

أنا امرأةٌ لا تزالُ ..
تحملُ الشتاءَ تحتَ ظفائرها
كتبتُ اسمكَ على طرفِ رملٍ مهجورٍ
وعاهدتُ الريحَ ألا تخبرَ موجَ المدِّ عن خُطاي

أحضرتُ من المواسمِ
غبارَ ما تبقّى من عودٍ وحيدٍ
أضعهُ على جبيني مشعلاً للحنينِ كي لا يسقطَ.

بعدَ الفراقِ ...
تنكسرُ المسافاتُ إلى أسرارٍ صغيرةٍ
النافذةُ لا تعرفُ غيرَ وجهٍ فارغٍ
والطائرُ رجعَ مخبأً في صدرٍ لا يجرؤُ على الغناء
حتى النهارُ صار يقلبُ صحيفتي بلا تعليقٍ
وأنا أبحثُ عنكِ ...
في كلِّ سطرٍ ..
كأنّي أبحثُ عن وطني في شارعِ الغربة.

كنتَ قمري؛
فغادرتَ القمرَ وعلّمني أن أنتهي من الانتظار
تركتَ في جوفي قافلةً أسئلةٍ بلا خريطةٍ
وخلّفتَ لي عتمةً تثقلُ مرافئَ الليلِ
علّمتني كيف أصطادُ الأسماءَ من حولي
وأعيدُها إلى الأعماقِ ...
كي لا يَعرِفَ أحدٌ على حزنِ امرأةٍ.

وكان البحرُ ملاذي، لكنه لم يرحمْ وجهي
غابت صديقاتي ...
وغرّقَ في قاعهِ صوتي الذي تعلّمَ الكلامَ من وجعي
ثمّ عادَ إلى سطحه هادئاً كمن لم يكن شاهداً
كأنّه لا يعرفُ من أيِّ شاطئٍ خرجتُ
وكأنّ أمواجهِ لا تنجبُ في كلِّ مولدٍ إلا صمتاً.

أدركتُ حينها ..
متأخّرةً جدّاً ..
أنّ الفراقَ ليس سوى مرآةٍ تعكس وجعي.
بل صفحةٌ تفتحُ على كتابٍ آخرَ من حياةٍ
حيثُ القلبُ يصيرُ غريباً عن جسدهِ

والذاكرةُ تظلُّ تراقصُ الحاضرَ بلا رفقٍ
والوطنُ يصبحُ في طيّاتِ الصدى
مدينةً نائمةً لا تعرفُ أسمائنا.

فماذا أفعلُ بي؟
أنا التي علّمتُ الزهرَ معنى الندى
وطيرَ الصبحِ معنىَ الرجوعِ بلا رحيلٍ
ها أنا الآن أعدُّ النجومَ واحدةً تلو الأخرى
أضعها في كأسٍ صديءٍ وأرمي بها في جرحي
لأرى إن كان الليلُ سيستعيدُ ضوءَهُ
بعد أن يغفو فوقَ ركبتي.

يا غائباً ..
لا تنتظرني عند حدودِ الليلِ، فلا حدودَ لي
قد صرتُ أنا الليلَ الذي يبتلعُ أسمائَهُ
وصرتَ أنتَ الغيابَ ..
الذي يُطيلُ الطريقَ كي لا يعودَ
تركتَ في عروقي نهراً بلا ضفةٍ
وقلباً بلا مأوى ..
وأنثى تبحثُ عن ملامحها في مرايا الهزيمة.

يا حاضراً في غيابي ..
وغائباً في حضوري ..
لقد علَّمتَ وجهي كيف يحفظُ الصمتَ
ويبتسمُ في طريقِ الوداعِ
تركتَ الأبوابَ مواربةً كأنّك تحسبُ عودتي
فصار البيتُ يذكرني
أنّي كنتُ أعرفُ ألف طقسٍ للغيابِ
أعرِفُ كيف أطبخُ الحزنَ ..
حتى يصبحَ خبزاً أتناوله صباحاً ومساءً.

لكنّي — رغمَ كلِّ هذا — لا أُسلمُ لليأسِ
لن أبكيكَ أمامَ القمرِ ..

فالقمرُ لا يكفيهُ بكاؤنا
ولن أشكو للبحرِ وجعي
فالبحرُ يَخفي أسرارَهُ بين الصخورِ
سأتركهما يعودانِ إلى عادتهما:
قمراً جديداً ..
وبحراً هادئاً ..
وأنا أحتفظُ بما بقي من جنوني في جيوبِ قصائدي.

سأحفرُ اسمكَ شعراً
وأغرسهُ في صدرِ النهرِ
أجعلُ من حزنِكِ ...
قصيدةً تُطوّقُ خصرَ الذاكرةِ
أكتبُكَ على صفحاتٍ لا تطوى
كي لا ينسى التاريخُ أنّه كان عاشقاً
أبني من ركامِ الانتظارِ بيتاً صغيراً
يُطلُّ على عيونِ الحنينِ
وأعلّمُ همسي ..
كيف يخرجُ من بين الشوق
ليصير أغنيةً لا تنشدُ إلا في الصباحِ.

يا نفسُ لا تلومي الريحَ
إن حملتْ رائحةَ فارسٍ بعيدٍ
فالرائحةُ تبقى على الألم حتى لو تغيّرَ الطريقُ
والحبُّ يبقى طيفاً يمرُّ بجانبِ الحياةِ
يرمقُ الوجوهَ المارةَ ...
ثم يختفي في شارعٍ لم تبنِهْ مدينةٌ بعدُ.

أعودُ إلى الشرفةِ
— تلكَ الشرفةَ التي تصغي إلى صمتي —
أرى في كأسِ الماء انعكاسَ وجهي
وقد نقِش فيهِ حزنٌ قديمٌ
أمسكُ بالقلمِ ...
كمن يمسكُ بيدِ طفلٍ يريدُ تعلّمَ الكتابةِ

وأبدأُ أسردُ حكاياتكَ كما تُروى الأساطيرُ:
ببطءٍ وبقلبٍ لا يعرفُ السهو.

أكتبكَ حتى لا تموتَ في داخلي
أعيدُ لكَ الأسماءَ التي بعثرتها الريحُ
أُسندُ للعتمةِ كلماتٍ تشتاقُ إلى النهارِ
وأزرعُ في صدري بذوراً من صباحٍ قد يأتي
أو ربما لا يأتي ..
ولكنّي سأزرعها ...
لأنّي امرأةٌ لا تعرفُ الاستسلامَ.

ها أنا امرأةٌ على حافّةِ الزمنِ
أعيدُ ترتيبَ حروفي
كما تُرتّبُ الأمُّ لعبةَ ولدٍ غائبٍ
أغسلُ الحنينَ من يديّ
كي لا يتحوّلَ إلى مرآةٍ تكشفُ ضعفي
أرتدي قميصَ العزفِ وأؤمّنُ بهِ بوابةَ قلبي
وأعلّمُ الليلَ ...
كيف يقرأُ اسمي دون أن يسألَ عنك.

قد تظنين أنّي انهزمتُ
شظايا الماضي تدورُ في رأسي
لكنّي ..
في السرّ، أعدُّ طريقاً جديداً لا اسمَ لهُ
طريقاً لا يلتقي فيه الغائبونَ بحسابٍ
طريقاً فيه أرجوحةٌ تتأرجحُ بينَ حزنٍ وأملٍ
وحيثُ أستعيدُ بعضاً ...
من صديقتي القديمة: الشجاعةَ.

سأعودُ إلى البحرِ عند الصباحِ
لكنّي لن أناديه كما كنتُ أفعلُ
سأقفُ على حجرٍ صغيرٍ وأسمرُ بصمتي
أتركُ للموجِ أن يقرأَ قصائدي ...

كما يقرأُ الأمكنةُ الأسماءَ
وإن ابتلعَها القاعُ فلن أبكي
لأنّي أعلمُ أنّ الشعرَ إن لم يُقرأْ
فهو ينامُ في صدورِ الغيومِ آمناً ..
ينتظرُ مطراً يوقظهُ.

في الليلِ، عندما يتثاءبُ الحنينُ
أضيءُ شمعةً على قبرِ الذكرى
وأهمسُ: هل تذكرُ حين كنّا؟
ثمّ أضربُ كفّي على صدري
كمن يوقظُ طائراً نائماً
وأعيدُ ترتيبَ أجنحتي
كي أستعدَّ للطيرانِ إن طارَ الحزنُ بعيداً.

وقد أعودُ يوماً لا أنتظرُ فيهِ أحداً
أعودُ إلى نفسي ...
كما تعودُ البذرةُ إلى الأرضِ بعد قَطعِ المطرِ
أزرعُ الفرحَ هناكَ ...
حيث لم يبقَ في القلبِ إلا صورةٌ منسيةٌ
وأعلنُ للحياةِ أنّي ...
رغمَ كلِّ رحيلٍ ...
باقيةٌ على العهدِ مع نفسي.

لن أنادي القمرَ بعد الآن
ولا أستجدي البحرَ أبداً
أجعلُ من رحيلكَ مصدراً لصراخي
ومن غيابكَ ساحةً أكبرُ فيها شجاعتي
وسأظلُّ أنا:
امرأةٌ تكتبُ حبّاً كي يهتدي بهِ الآخرونَ
وتدفنُ في قصائدها
ما تبقّى من ألمٍ كي يولدَ منه صباحٌ جديدٌ.

فإذا مرَّ يومٌ ووجدتَ ...

في أحدِ دواوينِ العالمِ
قصيدةً تُنادى باسمٍ بلا عنوانٍ
فاعلمْ أنّها أنا
وقد جعلتُ من فراقِك أغنيةً لا تموتُ
ومن دمعةٍ سجدتْ حروفَها على الورقِ
نثرتُها زهراً على جدرانِ الصمتِ
وصنعتُ من بعدِك وطناً صغيراً
أستطيعُ أن أنامَ فيه بسلامٍ.

وبذلك أكونُ قد فعلتُ ما عليّ:
كفرتُ باليأسِ ...
حتى لا يرثَ قلبي ما تبقّى من السنينِ
وعلّمتُ النسيمَ أن يحملَ اسمي مع الأزهارِ
وغنّيتُ للحبِّ
— مهما جارَ عليّ—
أغنيةً تجعلُ من الرحيلِ ذكرى
لا تُثقلُ كاهلَ الأيامِ.

هذا ما أفعلُ بعد الفراقِ:
أعيدُ رسمَ وجهي على خارطةِ اللا عودةِ
أمسكُ بالقلمِ كعصا خلاصٍ
وأمشي إلى حيث لا أحدَ ينتظرُني
لكنّي أخلقُ هناكَ ...
بكلماتٍ بسيطةٍ ..
عالَماً يخافُ أن ينسى.

أنا التي تسكنني الكلمات

أنا المرأةُ التي تسكنها الكلماتُ
كما يسكنُ البحرُ قوقعةً صغيرةً على شاطئٍ مهجور.
أنا التي ولدتْ من ضلعِ الغيم
ومن رحمِ المنافي؛
أنا التي كبرتْ على موسيقِي الموج
وعلى صمتِ النوارس حين تهاجرُ فجأةً
دون أن تتركَ لي عنواناً للعودة.

أنا التي خبأتُ طفولتي في صندوقِ خشبٍ
عليه بقايا ملحٍ
وألقيتُ مفاتيحه في البحر
لأظلَّ أبحثُ عنها كلما غرقَ قلبي
في عاصفةِ حنينٍ.

يا حروفي
لماذا تقاومينني؟
أأنا أثقلتُ عليكِ بوجعي؟
أم أنَّ حزني أعمقُ من أن تحمله اللغة؟
أنتِ كنتِ نافذتي حين أغلقَ العالمُ أبوابه
وكنتِ سريري حين يخذلني الأرق
وكنتِ صرختي حين خنقتني المدينةُ
بأحجارها العالية.

أنا المرأةُ التي تعبتْ أن تكونَ مرآةً
تعيدُ للآخرين صورهم المكسورة
بينما تظلُّ صورتها بلا ملامح.
أنا التي تخشى أن يطفئها الصمتُ
فتكتبُ لتبقى
وتبكي لتتطهر
وتضحكُ كيلا يكتشفَ العالمُ

أنها تذوبُ في الداخل
كما يذوبُ الثلجُ في كفِّ طفلٍ وحيد.

أُخاطبكَ يا قلمي
كأنك آخرُ عاشقٍ على الأرض:
لا تتركني في منتصفِ القصيدة
لا تتركني بلا حروفٍ أستندُ إليها
فقد صارَ جسدي بيتاً من ركامٍ
وروحي غابةً من أسئلةٍ
وعمري نهرٌ جفَّ قبل أن يصلَ البحر.

أنا المرأةُ التي تعلَّمتْ أن تخفي جرحها
خلفَ ابتسامةٍ واسعةٍ
وتعلَّمتْ أن تجمعَ شظاياها
لتصنعَ منها قنديلاً ينيرُ الطريقَ للآخرين.
لكنها في الليل، حين ينامُ العالمُ
تضعُ رأسها على وسادةٍ باردةٍ
وتسأل:
هل أنا حقاً حيّةٌ؟
أم أنني قصيدةٌ مؤجَّلةٌ
لم يجرؤ شاعرٌ على كتابتها بعد؟

كلُّ ما فيَّ يكتبني:
قلبي الذي يشبهُ طائراً مذبوحاً
عروقي التي تحفظُ إيقاعَ المطر
يدي التي تحنو كأمٍّ
ثم تقسو كريحٍ
وعيني التي تخفي مدناً كاملةً
مبنيةً من دموعٍ شفافةٍ.

أنا المرأةُ التي لا تتقن النسيان
كلُّ شيءٍ عندي ذاكرةٌ:
النافذةُ التي شهدت أولَ رحيلٍ

المقعدُ الخشبيُّ في الحديقةِ
خطُّ يدٍ على ورقةٍ
ورائحةُ قهوةٍ انسكبتْ
على ثوبٍ لم أجففه بعد.

كلما كتبتُ، خفتُ أن أخونَ صمتي
وكلما صمتُّ، خفتُ أن أخونَ كتابتي.
فأعيشُ معلَّقةً
بين كلمةٍ تولدُ
وصوتٍ يختنقُ
وبين قلبٍ يصرخُ:
«أحبّك»،
ولسانٍ يخشى أن يبوح.

ألا تعرفون؟
المرأةُ ليست جسداً من حريرٍ فقط
هي وطنٌ من رمادٍ
وساحةُ حربٍ
وأمٌّ لكلِّ القصائدِ اليتيمةِ.
هي التي تشعلُ العالمَ بابتسامةٍ
وتطفئهُ بدمعةٍ
ثم تعودُ لتنهضَ وحدها
كشجرةٍ لا تعرفُ إلا الجذورَ.

يا قلمي ...
علّمني كيف أحوّلُ دموعي إلى حبرٍ
وأحزاني إلى أغانٍ
واجعلني أكتبُ عن الحبِّ
كما لو أنّه ولادةٌ
وعن الموتِ كما لو أنّه لقاءٌ
وعن الرحيلِ كما لو أنّه وعدٌ بالرجوع.

أنا المرأةُ التي تكتبُ كي لا تموتَ

تكتبُ لأنَّ الحروفَ أوفى من البشر
ولأنَّ الورقَ يسمعُ
حين يختنقُ الهواءُ في صدرها.
أنا التي تصرخُ بلا صوتٍ
وتحبُّ بلا حدودٍ
وتنتظرُ بلا موعدٍ.

فلا تسألوني: من أنا؟
أنا القصيدةُ التي تبحث عن شاعرٍ
والحرفُ الذي يبحثُ عن صدرٍ يسكنه
والمرأةُ التي تبحثُ عن وطنٍ
لا يخذلها...

كوباني... يا نهرَ دمي ويا وجهَ أغنيتي

كوباني...
يا مدينةً ولدتْ من نارٍ
وتطهّرتْ بالدم
ثم نهضتْ كالمئذنةِ في قلب العاصفة
تتحدى الغيابَ بالنداء
وتشعلُ عتمةَ المنافي بوميضٍ لا ينطفئ.

أنا المرأةُ التي تشبهكِ...
أنثى تُصِرُّ على الحياة
ولو كانت مكسورةَ الأجنحة
أنثى تنبتُ ورداً من جراحها
وتخبّئ في صدرها أنينَ الأرض
كي لا يلتقطه الغزاة.

كوباني...
يا وجهَ طفولتي
حين كنتُ أركضُ خلفَ ظلِّ فراشة
فأجدكِ حضناً من قمحٍ وندى
وحين كبرتُ
صرتِ قُدّاسَ قلبي
وصلاتي التي لا يقطعها موت
ودمي الذي يسيلُ كي لا ينطفئ قنديلكِ.

كوباني...
يا جُرحَ أملي
حين ناديتكِ من منفى بعيد
سمعتُ فيكِ صهيلَ الخيول
ورأيتُ فيكِ صدورَ النساء
وهنّ يخبزن الخبزَ على نارِ الصمود
وسمعتُ زغاريدَ الأمهات

تعلو على هدير المدافع.

يا مدينةً من دموعٍ وياسمين
كيف صرتِ أكبرَ من مدينة؟
كيف غدوتِ امرأةً في داخلي؟
تُرضعني الحنينَ كل ليلة
وتعطّرُ جروحي
بشذى دماءِ الشهداء.

كوباني...
أنا لا أراكِ حجارةً مهدّمة
بل أراكِ قصيدةً تعانقُ المجاز
أراكِ ناياً مكسوراً
يعزفُ من جوفه نشيدَ السماء
وأراكِ غيمةً
تصرّ على الهطول
ولو فوقَ أرضٍ أُحرقت.

كوباني...
أيتها العروسُ التي زفّها الموت
ثم أعادها الحبُّ إلى الحياة
يا من تغنّي الطيورُ باسمك
وتكتبُ الجبالُ وصيتها بمدادك
أنتِ لستِ مدينةً فقط
أنتِ أنثى خلقت لتقاوم
لتلدَ من رحم الرماد
فجراً جديداً.

أنا المرأةُ التي تشبهكِ
أخافُ أن أبكيكِ
لأنني إن بكيتكِ
صارت دموعي نهراً بلا انتهاء
وأخافُ أن أضحك فيكِ

لأن ضحكتي تفضحُ غربتي
وتفضحُ خوفي أن يطولَ الغياب.

كوباني...
يا أيقونةَ الأرض
يا عرشَ الشهداء
يا أنشودةً لا يمحوها النسيان
أعدكِ أن أبقى أنثى تشبهكِ:
أحملُ في صدري رمادكِ
وفي روحي لهبَكِ
وفي دمي نداءَكِ
حتى تعودَ السنابلُ إلى قمحها
والأطفالُ إلى مراجيحهم
والأمّهاتُ إلى أغانِيهنَّ
التي لا تعرفُ الفقدَ بعد اليوم.

كوباني...
يا آخرَ الحبّ
وأوّلَ الصلاة
سأكتبكِ أبداً...
كما يكتبُ شهيدٌ اسمَ أمِّه
على كفنه
وكما يكتبُ المنفيُّ
اسمَ وطنه
على جدار الصمت.

أنا الفصل الأخير

أنا الفصل الأخير في روايتك
الصفحة التي تتأرجح بين صمتك وغربتي
بين خريفٍ ينسلُّ من بين أصابع الزمن
ومطرٍ يخبئ وجهي في حنينٍ بلا عنوان
بين دخان الأحلام المحترقة
وهمس الريح الذي يزور ذاكرتي كل مساء.

لم يبقَ لي سوى الرحيل
أن أرحل من نارك إلى نيران أيامي
أن أمشي وحدي فوق أشواك الألم
وأحمل في صدري كتاباً من الذكريات لم تُقرأ بعد
أن أترك خلفي كل النوافذ التي تشهد عليّ
وأغلق الأبواب على صدى خطواتك
وأعيد ترتيب أصابعي على مفاتيح الصمت
كما لو أنّي أعيد كتابة الكون من جديد.

كنتُ أفتش عنك في كل نافذة
في كل ظلٍّ يمر على جدران الغرفة
في كل صوت المطر الذي يطرق باب قلبي
وفي خيوط الضوء التي تتسلل على ستائر الليل
وأنت غائب، وكأنك لم تكن يوماً موجوداً
وكأنك لم تعلم أن هناك امرأة
تعيش فيك ...
وتموت فيك ...
وتبني عالمها على ركام عينيك.

أنا الغربة التي تعيش فيك
وأنت الطريق الذي يبتعد عني
أنا الحزن الذي يتسلل إلى كل فصلي
وأنت الهواء الذي يهرب من بين يديّ

كنتَ الحب ...
وها أنا أكتشف أنّني كنتُ الحب أيضاً
لكنك تركتني أتعلم أن الرحيل
قد يكون أعمق من كل احتضان
أشد وقعاً من كل الكلمات التي لم تُقال
أقسى من كل الأبواب التي أغلقتها خلفك.

أتذكر كيف كانت ضحكتك تنحني فوق وجهي؟
وكيف كانت كلماتك تصنع من صمتي موسيقى؟
الآن، كل شيء أصبح صدىً
صدى يتسلل من بين دفاتري
من بين أوراقي ...
التي لم تعد تحمل سوى حروفك
من بين أشعاري ...
التي لم تكتمل سوى بغيابك
من كل الأماكن التي لم أعرف أنّي أحتاجها
إلا لأبحث عنك فيها.

هجرتُ بعض أحبتي
لأني رأيت قلوبهم تهوى فراقي
وضعت كرامتي فوق اشتياقي
تعلمت أن أترك كل شيء جميل
حتى لو كان الحب نفسه
لتصبح روحي حرّة في فصلٍ لم يعد له بداية
ولم يعد له نهاية سوى الصمت
أصبحت أختزل العالم في عينيّ
وأسمع صدى قلبي على صفحات الغياب
وأكتبك كحرفٍ لم يولد بعد.

أنا الفصل الأخير في الرواية
والخريف يسكن عينيّ
والغياب يزين شعري كما يزين الليل النجوم
وأنا أمشي بين الماضي والمستقبل

أجمع بين أوراقي كل الكلمات الجميلة
وأترك خلفي كل ما كان يثقل الروح
كل ما كان يشبهك، أو يشبهني فيك
أتركه يذوب في نسيانٍ أبديّ
كالثلج الذي يتساقط على حواف المدن الميتة.

إذا جلست يوماً وحيداً
تذكّر أنّني كنت الفصل الذي حمل كل رحيلك
كنت الغربة التي علمتك الصمت
كنت الحزن الذي جعلك تعرف أنّ كل شيء يمضي
وأن كل حب مهما كان عميقاً
قد يصبح ذكرى على صفحة لم تُطوَّ بعد
قد يصبح صرخةً في غيابك
قد يصبح نهراً من الدموع لا يعرف المجاري
قد يصبح طيفاً يسكن أركانك دون أن تعرف.

أنا الفصل الأخير ...
وأنت النهاية التي لم تأتِ
وأنا البداية التي لم ترَ الضوء
وأنا الحب الذي بقي وحيداً
أنتظر المطر
وأنتظر الخريف
وأنتظر أن أمشي وحدي
ولكن مع كل خطوة
أكتب نفسي كحكاية لم تكتمل
كصفحة تبكي على غيابك
كرحلة تبدأ من نهاية لم تعرفها بعد
كرحلة تصنع مني امرأةً تحمل كل العالم في قلبها
وتحمل كل الغياب في كفّي
وتحمل كل الحب الذي لم يزل حيّاً
بين أوراق الزمن والمطر
بين صمتك وغربتي
بين خريفٍ يسكنني، ومطرٍ يرويني.

صرخة الوطن

أنا ابنةُ هذا الركامِ
ولدتُ من رحمِ حجرٍ مكسورٍ
ومن جرحِ شجرةٍ لم تجدْ من يسقيها
أنا صرخةُ الأرضِ حينَ ضاقَتْ بالدمِ
وأغنيةُ الأمهاتِ التي اضطربتْ في العتمةِ.

وطني...
أنا التي خبأتكَ في صدري
كما تخبئُ الأمُّ طفلها الجائعَ
أنا التي حملتُ اسمكَ على جبهتي
كأنّه قَسَمٌ لا ينكسرُ.

أقولُ لكَ:
أيُّ موتٍ يليقُ بكَ أكثرُ من موتي؟
وأيُّ جرحٍ أعمقُ من جرحِ امرأةٍ
تولدُ طفلاً وتعلمُ أنّه سيُقتلُ قبلَ أن ينطقَ باسمها؟

وطني ...
أنا عطشُكَ ..
أنا جوعُكَ ..
أنا وجهُكَ المصلوبُ على أبوابِ الخذلانِ.
أنا المرأةُ التي نامتْ على حجارةِ الليلِ
وغطّتْ أطفالها بالدمعِ بدلَ الغطاءِ
ثم قامتْ
لتزرعَ في فمِ الخرابِ وردةً
وتقولَ: «لن أُهزمَ».

وطني ...
أنا التي رأتْ الرجالَ يتساقطونَ كأوراقٍ خائفةٍ
ورأتْ النساءَ يشتعلنَ ناراً من أغصانِ الصبرِ
ويطبخْنَ الهواءَ على أملِ أن يشبعَ الصغارَ.

أنا التي غسلتُ وجهَكَ بالدموعِ
حينَ جفّتْ أنهارُكَ
وأطعمتُ جوعكَ من صدري
حين ضاقتْ مائدتي من الخذلانِ.

وطني ...
أنتَ طفلي الذي لن أتخلّى عنه
وحبيبي الذي لا يغيبُ
وأبي الذي لم يعدْ
وأخي الذي رحلَ
وأنا... المرأةُ التي لا تعرفُ من أنتَ أكثر:
أأنتَ حضني أم قبري؟

لكنّي أقولُ:
لن يطولَ الليلُ مهما طالتْ جراحُكَ
لن يطفئوا شمسَكَ
حتى لو ذرّوا رمادَكَ في الريحِ.

أقولُ:
ستعودُ
كما ينبتُ القمحُ من بطنِ الأرضِ
وكما تعودُ الطيورُ إلى أعشاشِها
وكما تعودُ الروحُ إلى جسدِها بعدَ التيهِ والمنفى.

وطني ...
أنا المرأةُ التي تكتبُكَ بدمها
وترسمُكَ بدموعها
وتحملُكَ في رحمِها
كي تولدَ كلَّ يومٍ من جديدٍ.

أنا ...
التي لا تملكُ إلّا قلبَها
ولا تعرفُ إلا أن تحبَّكَ
ولا تجيدُ إلا أن تصرخَ باسمكَ

سأبقى أقولُ:
وطني ...
أنتَ قصيدتي الأخيرةُ
وحلمي الأولُ
وموطني... الذي لا يموتُ.

وطني ...
أنا المرأةُ التي خبزتْ صبرَها على جمرِ الانتظار
وجعلتْ من حليبِها جداراً يحمي أطفالكَ من الريح.
أنا التي علّمتْ قلبها أن يصلّي باسمكَ
حتى حين صمتتِ المآذن
وحتى حين هُدّمتِ الكنائس
فأنتَ ديني الذي لا يزول
وأنتَ صلاتي التي لا تُمحى.

أنا التي كسرتْ قيدَها لتُزيّنَ عنقكَ بالحرية
أنا التي طرّزتْ جرحكَ بخيوطٍ من حنين
فإن متَّ، متُّ معكَ
وإن نهضتَ، كنتُ أولَ من يزرعُ خطاكَ بالورود.

وطني ...
لا تسألني: كيف أحتمل؟
فالمرأةُ حين تصيرُ وطناً
تصيرُ أكبرَ من الموت
وأعنَدَ من الغياب
وأقوى من الخراب.

أنا والحروف المذبوحة

في الزوايا المظلمة من الليل
تئنُّ كلماتي كطفلةٍ فقدت حضنها
تسقط على الأرض كأوراق الخريف
تتلوى مع صدى الصمت الميت
وتختنق على جراح الحروف الممزقة.

أنا جنازةُ قصائدٍ مذبوحة
أسير على خيوط الضباب
أدعو الغيم أن يكتب اسمي
وأستجدي المطر أن يضمَّ قلبي
لكن الريح تعصف بلا رحمة
تسرق الحبر من عينيّ
فتبقى كلماتي وحيدة
تتنفس غربةَ الحروف الميتة.

كل حرفٍ هنا قتلته يدي العارية
وكل بيتٍ صُلب كحجر على قبر شاعر مجهول
كل كلمةٍ تصرخ:
"أين أنتم يا من وعدتموني بالسماء؟
أين صدى صوتي في وجدانكم؟
أم تركتموني أدفن نفسي وحيدةً؟"

أرى في الليل جنازات لا تتوقف
تسير في الشوارع
تجرُّ معها رائحة الحبر المدمى
وأشلاء المعاني التي لم تولد
أرفع أصابعي نحو النجوم
كأنّي أطلب العدل من السماء الصامتة
لكن السماء صماء
حتى القمر يغمض عينيه عن ألمي.

وها هي قصائدي تقف على حافة الغياب
أمسح دموعي على جدران الزمن
أخاطب الأرصفة
أتوسل للهواء أن يقرأني
لكنه يهمس فقط:
"اذهبي... فكل من أحببته مات قبلك."

في جنازات قصائدي المذبوحة
تختلط رائحة الموت برائحة الورود الجافة
والريح تعزف على أوتار حزني
فتبكي المدن القديمة
وتتنهد البيوت
وتسقط الطيور بلا جناح
كأنها تعرف أن شعري أيضاً يموت
قبل أن يولد.

أغمض عيني
فأرى جنازةً تتلو جنازة
كل قصيدة مذبوحة تتلو الأخرى
حتى الكلمات نفسها صارت جثةً
يجرها الليل على قارعة الطريق
وتبكي... تبكي...
حتى يختنق الحزن في صدري
فتتساقط روحي بين الحروف المذبوحة
كطفلةٍ تائهة في مدنٍ لا تنام.

على شفير الألم

أقف على شفير الألم
أطلُّ على الهاوية
أرى مدناً نائمةً بين يديّ
تتنهد تحت عبء الصمت
وتئنُّ الجدران من ثقل الحزن
وتحمل على كتفها ثلوج الفقد.

أحمل قلبي كزجاجٍ شفاف
يتكسر في كل لحظة
وتتساقط منه شظايا الذكريات
تتلألأ كنجومٍ خائنة
تغيب قبل أن أتمكن من لمسها
وتترك روحي معلقةً على خيطٍ من حنين.

على شفير الألم
تختلط أصواتي بصدى الريح
تسافر بين الأشجار المائلة
وتصرخ الطيور في السماء الممطرة
كأنها تعرف أن الألم يلد الموت قبل الحياة
ويزرع الحنين على قبور الأحلام
ويزرع وجعي بين أصابع الذاكرة.

أشمُّ رائحة الغياب
تتسرب من شقوق البيوت
تتسلل بين أهداب الليل
وترسم وجهي على جدارٍ لم أكتب عليه
كأنني لم أكن موجودة
وكأن العالم لم يحتوِ قلبي الصغير
وكأنني ظلٌّ يتلوى في الزوايا المظلمة.

كل دمعة هنا تصرخ باسمك
وكل كلمة تقف على قارعة الطريق

تتوسل للريح أن تحملها إليك
لكن الريح تضحك بلا رحمة
وتترك صرخاتي معلقة في الفضاء
كأشباح بلا جسد
تائهة بين السماء والأرض
تسأل عنك في صمت الليل الطويل.

على شفير الألم، أرى نفسي طفلةً
تبحث عن حضنها المفقود
تلاحق ظلالها على جدران الزمن
وتغني للأمل الحزين
لكنه يبتعد خطوةً كلما اقتربت
ويترك لي الغبار والبرد والوحدة
ويعلمني أن الحب أحياناً يتركنا على حافة الصمت
ننتظر ضوءاً لم يأتِ بعد.

حتى الليل يشتعل على شفير الألم
كشعلة لم تهدأ
تذيب أطرافي
وتنحت وجهي على صخر الوجع
لكن قلبي، رغم كل شيء
ما زال يحلم بالسماء
ما زال يفتح نوافذ الضوء بين أضلاع الليل
وينثر شموع الأمل على الطرقات المظلمة
كطفلة تنتظر أن يلمس أحدهم يديها الباردة.

أسمع صوتي ينادي في العتمة
أستنجد بصمت النجوم
أكتب اسمي على الجدران
علّ أحدهم يراه
ويعرف أن هناك قلباً على شفير الألم
قلب يئن ويحب
ويحلم، رغم كل الدمار
بحنان قد يأتي بعد الغياب الطويل.

لمن أهدي انتظاري

أخبرني ...
أيها الغائب عن نافذة قلبي
كيف تسلّلت إلى الظلال قبل أن أفتح عينيّ؟
أخبرني، كيف تسلّلت خطوطك إلى روحي
كما يتسلّل ضوء القمر إلى زوايا الغرف الخالية
ويترك على الجدران شظايا من ألم وحنين.

أنا امرأة تحبّ الليل كما يحبّ البحر أسراره
أقطف من همسك نجوم صمتي
وأزرعها في حديقة الغياب.
كل شيء فيّ ينتظرك ...
حتى الريح التي تمر عبر شعري
تسأل عنك بصوت متردد
وكأنها تعرف أن قلبي لم يغادرك أبداً.

يا من اخترقت قلاع الصمت
وغزوت قلبي كطائر جريح يبحث عن عشه
أخبرني ...
من أين لك هذا العطر الذي يلاحقني في أحلامي
وكيف تركت في حنجرتي صدى خطواتك
كما يترك المطر أثره على وجهي المبتلّ؟

أنا امرأة من حبر الغياب
أعدّ رسائلي من ظلالك وأشواقك
وأزرعها على أطراف الزمن
علّها تنبت يوماً ...
كما تنبت الورود على أطلال الخريف.
أصابعك ما زالت ترسم خيوط الضوء في عروقي
حتى حين تبتعد
يبقى قلبي يقرأ اسمك في خبايا الهواء.

أخبرني ...
من سيسمع صرخة أمسي
حين أختلس منك لحظة فرح
وأخبئها في صدري كالزجاج المكسور؟
من سيضمّ روحي المتعبة بين كفيه
ويعيد إليها دفءَ الحنين
وكأن الزمن لم يسرقك مني أبداً؟

أنا امرأة من رحيق التفاح
وعبير الليل الطويل
ومن ضوء الشموع الذي يرقص على جدار الانتظار.
أحتفظ بك كما يحتفظ البحر بالغيم
وكما يحتفظ المطر بالسر الذي لا يبوح به.
حتى صوتي، حين ينطق اسمك
ينزف من شفتي نغمات لم يُخلق لها مثيل.

كل شيء عنك يصنع في داخلي
كما يصنع الأساطير من الحزن والمطر.
كل لحظة تنتظرني
كل حلم يلوح في سماء الصمت
أنت هناك، في كل ثانية
مثل ظل لا يغادرني
مثل أغنية لا تنتهي حتى لو غابت الكلمات.

أخبرني ...
لمن أكتب هذا العشق؟
ولمن أهدي هذا الانتظار ..
الذي يضيع بين أصابعي؟
أهو لك، أم للغيب الذي يختبئ خلف عينيك؟
أهو لك، أم للكون الذي يشهد على جنوني؟
قل لي، قبل أن أذوب في ذاتي
وأصبح صمتاً يراقب صمتك
وحلماً لا ينتهي إلا حين تعود...

أنا امرأة كسرت وجه المرآة
جمعت شظاياها
ورسمت ملامحي
لكن بلا عينين...
كل شيء عنك ...
عنك فقط
يملأني بالحياة
ويجعلني أتنفسك في صمت الليل الطويل...

أخبرني ...
أيُّها الغائب عن نافذة قلبي
متى سأراك؟
متى سيصبح الصمت كفاً يلمس يديك؟
متى يتحول الانتظار إلى وجدان لا يزول؟
حتى ذلك الحين، سأظل أكتبك في كل الأشياء
في كل وجه يمرّ ...
في كل نسيم ..
وفي كل حلم يطرق بابي...

أنا امرأة من الحنين
من رائحة الغياب ..
من دفء الضياع ..
ومن لحنك الذي يقتحم روحي كزائر لم يرحل أبداً...

حنين بلا نهاية

أحنُّ إليك كما تحنّ الأرض إلى المطر
كما يشتاق الليل إلى نجومه الغائبة
وأنا، امرأة من صمتٍ طويل
أنتظرُك في كل حجرةٍ من روحي
حتى في الزوايا التي لا يصلها الضوء
أنتظرُك ...
كأن الزمن لم يخلق إلا لغيابك
وكأن الهواء نفسه يحمل اسمك في كل تنفس.

كيف تغزو روحي بلا إذن؟
وكيف تترك في قلبي أثر خطواتك
كما يترك المطر أثره على الأرض العطشى؟
أنت هناك، في كل لحظة
تتسلل بين أنفاسي
كطائرٍ يجهل العودة
لكن روحي تعرف طريقه دون خريطة.

أنا امرأة من رائحة الغياب
من ألوان الشموع ...
التي ترقص على جدار الانتظار
من حبر الليل ...
الذي يكتب اسمك على أوراق قلبي
أقطف من دموع الصباح أشواقك
وأزرعها في جنبات الصمت الطويل
ليصبح كل شيء حولي شاهداً على حضورك
حتى حين تبتعد
يبقى قلبي يقرأك في كل الهواء ...
في كل ظل ...
في كل غياب.

يا من اخترقتَ حدودي دون كلمة

وغزوت قلبي كطائرٍ جريح يبحث عن عشه
كيف تركتني وحيدة ...
في هذا البحر من الحنين
وكيف أصبح صدى صوتك ...
في عروقي أغنيةً لا تنتهي؟
أنا امرأة تحب الليل كما يحب البحر أسراره
أنتظر ضوءك، وأكتبك في كل موجة
وأتحدث إليك في كل همسة، في كل نسيم.

كل شيء عنك يُنسج في داخلي
كما تُنسج الأساطير من الحزن
كل شعرة من شعري ...
كل نبضة قلبي ...
كل ظلٍ من ظلي ...
يحمل توقك.
حتى قلبي، حين يخفق، يخفق باسمك
كأنه يعرف أن العالم كله لا يسعنا
لكن روحي تعرف كيف تحتضن غيابك.

لمن أكتب هذا الحنين؟
ولمن أهدي الانتظار الذي يذوب بين أصابعي؟
أهو لك ...
أم للهواء الذي يمر عبر نافذتي؟
أهو لك ...
أم للغيب الذي يختبئ خلف عينيّ؟
قبل أن أختفي في ذاتي
وأصبح صمتاً يراقب صمتك
وحلماً يلاحقك بلا نهاية...

أنا امرأة كسرت المرآة
جمعت شظاياها
ورسمت ملامحي
لكن بلا عينين...

كل شيء عنك، عنك فقط
يملأني بالحياة
ويجعلني أتنفسك في صمت الليل الطويل
ويزرع في قلبي أغنيةً لا يمحوها الغياب.

أنت هناك في كل شيء:
في ضوء القمر ...
في المطر ...
في رائحة الخريف ..
في الزهرة التي تذبل ..
وفي الطائر الذي يهاجر
في الشوارع الخالية
في الطرقات المبتلة
في صوت الريح
وفي كل همسة تنتظرني.

أيها الغائب عن نافذة قلبي
متى سأراك؟
متى يصبح الصمت كفاً يلمس يديك؟
متى يتحول الانتظار إلى وجدانٍ لا يزول؟
حتى ذلك الحين، سأظل أكتبك في كل الأشياء
في كل وجه يمرّ، في كل نسيم
وفي كل حلم يطرق بابي...

أنا امرأة من نكهة الشوق
ومن سرّ الليل الذي لا ينام
ومن عبق الذكريات التي تتلوى بين أصابعي
ومن لحنك الذي يغمر روحي كالريح التي لا تعرف الرحيل...

وأظل أكتبك، أكتبك في الظلال
أكتبك في الضحكات التي لا تكتمل
أكتبك في الصمت ..
في الدمعة ...

في الضباب ...
حتى يصبح كل شيء عني وعنك ..
خيطاً من الحنين
خيطاً لا ينقطع
خيطاً يربطني بك ..
إلى الأبد...

عاشقة الروح

أنا التي ولدت من نبضات الضوء الخفية
ومن همسات الليل التي لم تسمع بعد
أنا التي طعنت بغيابك قبل أن أعرفك
فصارت عيني بحيرةً من صمتٍ مُضاء
وصوتي أنشودةً ...
تفتش عن صدى لا يجد الطريق.

أحببتك ...
كما تحب الزهرة أول نسيم يغمرها
كما تحب الشفاه طعم الحلم
قبل أن يصبح حقيقة
كما تحب الروح سرّها الذي لا يراه أحد.
أحببتك ...
في ليلٍ طويلٍ بلا نجوم
حيث تتراكم الكلمات كأمواجٍ صغيرة
وحيث كل حرفٍ مني لك
ينبوعٌ يقطر شوقاً قبل أن يلمسك.

أراك في ارتعاشة الضوء حين يلتقي بظلالي
في نبضة قلبي حين تهرب مني
في كل لحنٍ يتسلل من شفتَي العالم
كأنك لم تتركني قط
لكنني أراك بعيداً
كما يرى العاشق السراب في منتصف الصحراء
يسعى إليه بلا أملٍ أن يلمسه.

أكتب عنك ...
كما يكتب الليل على صفحة النسيان
تترك حروفاً تشعل قلبي ناراً
تترك صدى الغياب يحرق شفاه الروح

وتتركني أعيش بين ابتسامةٍ لا يسمعها أحد
وصوتٍ يختنق في أعماق صدري.

كنتَ الحلم الذي يجعل القلب يهتف
كنتَ الضوء الذي يسبق عيناي
كنتَ السرّ الذي يحتضن روحي قبل أن أفهم
كنتَ الأمان الذي يسكب في دمي
والظل الذي يتبع خطواتي قبل أن أعرف الطريق.

أحببتك ...
رغم كل الطرقات المجهولة
رغم كل الجدران التي انهارت أمام قلبي
رغم كل الوجوه التي نادتني باسمك
ورغم كل اللحظات التي هجرتني فيها وحدتي.
أحببتك ...
كما تحب الروح نفسها قبل أن تعرف الجسد
كما تحب النجمة لحظة الانفجار قبل أن تهوي
كما تحب الزهرة أشعة الفجر قبل أن تُفتَح.

أرسل إليك قلبي في رسائل من نورٍ ناعم
وأترك لك روحي على أجنحة الوقت
وكلما أغمضت عيني
أراك تمشي بين يدي
تأخذ مني كل ثقل الحزن
وتزرع مكانه شغفاً لا يذوب.

أنا التي تعلمت من الألم كيف أحبك ..
ومن الفقد كيف أصنع من الدموع أغنيات
ومن الغياب كيف أحول الفراغ إلى وطن
وأنت الوطن الذي لم أستطع الوصول إليه
أنت السرّ الذي لم يكتمل
أنت الغياب الذي لا يعرف نهاية.

سأظل أحبك في صمت

سأظل أرسمك على كل لحظة مهجورة
على كل قلب لم يعرف بعد كيف يشتاق
على كل ذكرى تتساقط بلا سبب
حتى لو رحلت عن عيني
ستظل حاضراً ..
كما تتلألأ النجوم في الظلام الأبدي.

أنا عاشقة الروح ...
أنا التي صنعت من الغياب أغنيةً لا تنتهي
ومن الشوق وطناً بلا حدود
ومن لمسك فكرةً تسكن العقل قبل الجسد
أنا التي لن أتركك أبداً
حتى لو فرّ الزمان من بين يدي
حتى لو استبد بي الصمت
سأظل أحبك ...
كما تحب الروح نفسها
كما تحب المرأة قلبها قبل أن يعرف الغياب.

لن نلتقي

(١)
أنا المرأةُ التي أودعتُ البحرَ أسرارَها
ورسمتُ على المَوْجِ وجهَكَ.
كنتُ أظنُّ أنّ المدَّ سيحملُني إليكَ
لكنّه أعادَني غريبةً
كما تعيدُ الصحراءُ خطى العابرينَ إلى العطَشِ.

(٢)
أحملُ في حقيبتي مدناً منطفِئَةً
وأوطاناً ضاعت بين أصابعِ التاريخِ.
أمشي وأغنّي للغيابِ؛
كأنّ الغيابَ وطنٌ آخرُ
وكأنّي أبحثُ عن نافذةٍ تُطلُّ على وجهِكَ
فلا أجدُ سوى مرايا مكسورةٍ.

(٣)
لن نلتقي...
قلتَها ومضيتَ مثلَ طائرٍ يهاجرُ دونَ أن يلتفتَ.
تركتَ لي رمادَكَ
وتركتَ لي ناياً وحيداً يعزفُ اسمي
ثمّ ينكسرُ على صخرةِ الصمتِ.

(٤)
أجلسُ على عتبةِ الليلِ
أفرشُ قلبي مثلَ بساطٍ للنجومِ
أعلّمُ القمرَ كيف يكتبُ وصايا العشّاقِ
وأقولُ له:
«هنا مرَّ الحُبُّ،
هنا انكسرَ،
وهنا ما زالت امرأةٌ تنتظرُ ما لا يعودُ».

(٥)
أنتَ لم تكن رجلاً فحسبْ
كنتَ مدينةً كاملةً
كنتَ موسيقى تمشي على قدمينِ
كنتَ وطناً صغيراً
علّقتُ على جدرانهِ خرائطَ أحلامي.
فلماذا هجرتَني؟
لماذا تركتَ أبوابَكَ مفتوحةً للريحِ
وأغلقتَ قلبي عليّ؟

(٦)
كلما حاولتُ أنْ أنسى
توقظُني الأغنيةُ من رمادي؛
أراكَ في فمِ الوردِ
في حفيفِ أوراقِ الخريفِ
في ملوحةِ دموعي
في شهقةِ طفلٍ يبحثُ عن صدرِ أمّهِ.

(٧)
لن نلتقي...
لكنَّ يدَكَ ما زالت تمتدُّ إليّ
من بين ثغورِ الذاكرةِ
تسحبُني إلى حديقةٍ بلا سياجٍ
تسقيني من كأسٍ مكسورٍ
وتقول: «هذا نَصيبُك مِنّي»
فأشربُ وأبكي.

(٨)
يا غريباً يسكنني
يا ناراً تأكلني
يا وطناً لم يمنحْني سوى جوازِ شوقٍ لا يختمُ
يا موسيقى تشتعل في دمي كلما حاولتُ الصمتَ
كيف أُطفئكَ؟

كيف أخلعكَ من قلبي كما تخلَعُ الأظافرُ؟

(٩)
أنا التي كتبتُكَ ألفَ مرةٍ
ومسحتُكَ ألفَ مرةٍ
لكنك تعودُ دائماً مثلَ قافلةٍ من السرابِ
تتركني عطشى
وأنا أسيرُ خلفكَ وأعلمُ أنّي لن أصلَ.

(١٠)
لن نلتقي...
لكنّي سأكتبُكَ
حتى يغدو اسمُكَ زهرةً
في حدائقِ اللغة.

سأعلّمُ القصائدَ أن تُصلّي باسمِكَ
وأُسكِنُكَ في حنجرتي
كما يسكنُ النشيدُ صدرَ الوطن.

أبني لك مسجداً من صمت
وكنيسةً من انتظار
ومحراباً من قصيدةٍ لا تفنى.

أزرعُ حروفكَ في تربةِ الأيام
فتُنبِتُ أسماءً
لا تعرفُ الغياب
ولا تُبالي بالوداع.

وإن لم أرك ثانيةً
سأجعلُ حضوركَ ذكرى
تمنحني حقَّ النطقِ بالحبِّ
من غير إذن.

سأظلُّ امرأةً تكتبُكَ

كمن يخطُّ اسمَ وطنٍ
على رايةٍ صغيرة
تُرفَعُ في قلبِ الشتاءِ.

أعلّمُ أطفالي أن يقرأوكَ
كقصصِ المساءِ
فلا يضلّوا
في دروبِ الوحدة.

وهكذا...
إن كنتَ رحلتَ
فعسى كلماتي تبني لك طريقاً
تعودُ عليه.
وإن كنتَ باقياً
فابنِ معي بيتاً
من حضورٍ لا يزول.

أيقونة الضوء في البحر

تعلّمتُ من الظلّ كيف يكون صديقي
ومن الليل كيف يكون البحرُ مرآتي
ومن المطر كيف يبلّل القلب بلا إذن.

يسرع في داخلي زمنٌ لا أعرفه
يمر مهرولاً، يجرّ خلفه الغياب
والسماء فوق رأسي غاضبة
ترعد وتقرع الطبولَ بحمَمٍ سوداء
تمطر ظلمات على روحي
واليأس يغسلها حريقاً في حريق.

أتساءل: هل مرّ من هنا؟
فالظلمة قلبه، والبحر من عيونه
يتلوّى في داخلي كخوفٍ متأجج
أمدّ يدي، أبحث عن أيقونة ضوء
لكنّ المدى صامت، والنجوم أُخفيت عني.

هو أوهم النجمات بحبه
التقى بها سرّاً
فالسماء للضوء لا تطيق
والأشواق مثل شجرة جوز عاتبة
تمزّقني من داخلي
وتقطعني عن مفارقاتي.

أنا لكم فيافي ...
لكن أصواتي تتصاعد كالمدى
الهلال ينسلّ بعيداً عن السماء
وفي رحاب الطفولة، أو الكهولة، أو الشباب ...
أصبح الغياب صديقاً
والمفردات تُكتب وحدها
لا يأبه أحد لرحيله.

يقف بين ثنايا الروح
صار مكبّ الظلمات
والنهايات السوداء داره
أصوات مبحوحة حوله
يطوي يديه على الرحيل قبل الفجر
كجثة ندمٍ أخيرة
على الحرية، على الأمسيات الغاضبة
على القلوب التي لم تعد تعرفه.

يقرأ السلام للريح
كي تحمل وتذرّ من استطاع الغياب
ومن هجر ...
ومن صرخ في أرض واسعة من الهجران.
انصتوا، تعالوا قرب القمر
لم يسمع له صوت يُذكر
ولن يسمع صوته، ما شاء الله وقدر.

أما أنا، فحريتي
تزهر في صمت الظلّ
وتغني للغائبين
تجمع نجومهم المبعثرة في قلبي
تخطّ على البحر حروف الغياب
وأيقونة الضوء في قلبي تنير موجي
وتعلّم أن الرحيل لا يكتب بالدموع وحدها
بل بالصبر
وبالقدرة على حمل الظلام والحرية.

وأعرف أن الليل تمشط شعرها
في وجه المرآة
وأن البحر يبكي في عيون الغائبين
وأن كل حريق يولد من شوق الراحلين.
أمشي بين الغياب والنجوم
أزرع على الدروب شعلةً صغيرة

أنتظر أحدهم أن يراها
وإن لم يأتِ
تظلُّ شعلةً
أيقونة الضوء في البحر
تضيء لنفسها
وللعالم كله.

فالحياة تبدأ من الظلام
والحرية تتفتح من بين الأصابع
والحب، حتى لو أُوهم به أحدٌ
يبقى باقياً
مثل البحر ...
مثل المطر ...
مثل الليل.

أنا الحياة التي تنبت من صمت الليل
وتغني على حافة الألم
أحمل في قلبي أملاً لا يموت
وأزرع في كل رحلة سراجاً للغائبين
فكل دمعة، وكل شوق، وكل غياب
نوتة في سيمفونية قلبي الأبدي.

أنثى على أجنحة الريح

هذا الديوانُ رحلةُ أنثى ..
تحملُ روحها على أجنحةِ الريح
وتُبحرُ في بحار الغيابِ والحنين
تخطُ قصائدَها كما يخطُ البحرُ أمواجَه
فتغدو الكلماتُ مرآةً للقلب
والريحُ جناحاً للحرية.

A WOMAN ON THE WINGS OF THE WIND